العصمة والنجاة
من تحريف كتاب الله

تأليف

راجي عفو رب القدر

أبي البركات سمير بن مطر

المدرس

بجماعة تحفيظ القرآن الكريم بالطائف

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الناشر
مكتبة الطرفين
الطائف ـ شارع خالد بن الوليد
هاتف ٧٤٦٣٦٨٨ ـ ص.ب ٢٥٧٩
فاكسملي ٧٣٣٥٤٦٥ (المطبعة الأهلية)

الاهـــداء

إلى الذين يفتون الناس بأن علم التجويد العملي ليس فرض عين على المسلم .

إلى طلبة العلم الذين لهم تأثير على بعض العامة .
إلى العوام الذين ينتظرون فتاوي أولى العلم .
إلى إدارات التعليم في جميع البلدان الإسلامية .
إلى جميع جماعات التحفيظ في كل مكان في العالم .
إلى الدنيا كلها . . . إلى المعرفة لتنشر .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي جعل مجود القرآن مع السفرة الكرام ، وجعله من المتقين الأخيار ، ورزق العاملين به من علمه ، وأغدق عليهم من نعمه ، وحباهم بسلطانه ، وشرفهم بجاهه ، ووهبهم حلاوة كلامه ، فجعل لهم القرآن سراجاً منيراً ، وهداهم إليه صراطاً مستقيماً ، فكانوا هداة مهتدين ، ونوراً من الحق المبين ، وقوة ناسفة قاهرة على المبطلين المكذبين ، فحفظوا كلامه ، وجودوا ألفاظه ، ونشروا أحكامه ، وأقاموا بنيانه ، ودمروا أعداءه ، وجعلوه غاية حياتهم ، ومنتهى آمالهم ، وهو عزهم وشرفهم ، فاتبعوا النهج ، وساروا على الضرب ، ولم يحيدوا عن المسلك ، ولم يغيروا المنهج ، تلقوه كابراً عن كابر ، عالماً عن عالم ، عاملاً عن عامل ، فلم يفرطوا فيه ، ولا في أدنى شيء من مبانيه ومعانيه ، وكيف هذا والذي يفرط في سماع السنه ، وينقلها على غير ما قال صاحب العصمة ، تبوأ مقعده من النار ، وكان في عداد الكافرين الفجار ، في أسفل سافلين ، مع الكافرين المنافقين ، فما بال القرآن لو نقل على غير هيئته في أول الزمان ، زمان سيد ولد عدنان عليه الصلاة وأزكي السلام ، فما بالك بالعذاب ، وكيف تتصور العقاب ، وتتخيل المآب ، فقد كذب على رب الأرباب ، جبار السموات والأرض العزيز الوهاب ، الذي بيده مقاليد كل شيء وإليه المرجع والمئاب ، فكيف به إذا تطايرت الصحف ، ووضع الميزان ، وقربت الشمس من الآذان ، فماذا يكون كلامه ، وعلى من يكون إتكاله ، وأين مهربه ، وعند من يكون ملجئه ، فالصراط الصراط إخواني العلماء ، والحق الحق إخواني الفقهاء ، والله الله إخواني الدعاه ، والصلاة والسلام على سيد القراء ومعلم المجودين ، ومرتل القرآن بأمر من رب العالمين ، الذي تلقاه عن جبريل مرتل القرآن أيضاً بأمر من خالق الكون ومديره، ومصوره ونهجوا ، وآله الذين أتبعوه وأصحابه الذين ساروا على طريقه ونجواة نهجه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين :

أما بعد

فأعلم أخي الكريم أنني لا أعتمد في تأليفي على حلاوة العبارة ، وزخرفة الكلام ، ونسق الجملة والإشادة ، وحسن الترتيب الأجوف ، دون طائل تحته أو مرمى يرمي إليه أو مغزى أريده ، بل جاء بفضل الله وكرمه نسقاً وحده ، وحيدا في نسيجه ، عزيزا في مقصوده ، قليل المبنى كثير المعنى ، ذا فوائد جمه ، يريدها العالم قبل الطالب ، ويرحل إليها المنتهى فضلاً عن المبتدى ، تشنف الأسماع إذا قرئت عليها ، تقر العيون إذا نظرت فيها ، رسالة فريدة وحيدة ، وذلك بفضل صاحب الفضل والمنه ، والكبرياء والعظمة ، رب الأرباب ، خالق الأكوان ، معلم الإنسان ، خالق كل شيء ومليكه ، فجاء بكرمه على غير ما أولف ، لأنه ليس كل من ألف أجاد ، ولا كل من صنف وفي بالمراد .

الباعث على تأليف الكتاب

ولقد ساورتني فكرة التأليف منذ أكثر من سنتين وأنا في مصر ، حرسها الله من كل عدو أفاك ، وحماها من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ، للحاجة إلى ذلك ، وخاصة عندما علمت أن بعضاً من إخواننا يشيع بين الناس أن التجويد العملي ليس فرض عين ولكنه على سبيل الإستحباب ، وليته يعرف قراءة القرآن بالعربية فضلاً عن أن يرتله بالقواعد المعروفة البدهية عند عامة الخلق وسائر البشر ، حتى أنه أخبرني بعض الثقات أنه قرأ أولئك ومدواو وأولئك أربع حركات حسباناً منه أن هذا هو النطق الصحيح ثم سمعته عندما يقرأ الفاتحة يلحن فيها لحناً جلياً ، إختلف الفقهاء في صحة صلاته ، فلذلك جاءتني الفكرة ، وإستفزني المقام ، وإن كنت لست من أهل هذا الشان ، ثم رأيت إلحاحاً عجيباً من بعض إخواننا الأفاضل ، الحريصين على قراءة القرآن كما جاء إليهم ، بالتواتر عن رسول الله ﷺ ، ولصيانة كتاب الله من التحريف والتصحيف ، واللحن الجلي والخفي ، الغيورين على حرمة كلام الله .

ولكن لكثرة أنشغالي ، وعدم تفرغي وترددي في هذا الأمر ، لأنني لا أريد أن

أؤلف كتاباً كمثله من الذين ألفوا في هذا السبيل ، ينقل فحسب دون تحليل أو دراسة ، أو محاجة أو إقناع ، وفي نفس الوقت ضاقت نفسي من البلاد والعباد ، فلا أستطيع أن أعطي درساً ، ولا القي خطبة ، ولا أفكر في مسألة فجاء النداء الإلهي العام ، أن الله له بيت فحجوه ، وما كنت أفكر قبل في السفر أو الحج ، وما كنت أخرج ولو بعد عشر سنين لأنني أتلقى العلم على الشيوخ الأجلاء ولكن نادى منادي الله فعلى العبد الإجابة ، وكان الحج على غير ترتيب منى أو إستعداد ، فقد جاء ولا دخل لي فيه ، شأنه شأن جل حياتي لا تصريف لي فيها ، فحججت وكتب الله لي الإقامة في مكة المكرمة ، أنعم الله عليَّ ببيته الحرام ، ثم جاءتني الفكرة مرة ثانية ، خاصة وقد رأيت تقصيراً شديداً في قراءة كتاب الله تعالى مع الجهد الجبار الذي يبذل في تلاوته حق التلاوة ، والإمكانيات العظيمة التى جندت لنشر قراءة الكتاب على خير قراءة ولكنني ترددت أيضاً في هذا كثيراً لعلمي أن هذا سيكون صعباً عسيراً ، حتى وفق الله تعالى ، وذهبت مدرساً للقرآن الكريم في جماعة تحفيظ القرآن الكريم بالطائف ، ودرست هناك التجويد ، فألحَّ عليَّ أخوة أفاضل حريصون كالأول لا أستطيع مخالفتهم مع معرفتي بالواقع الأليم في البلدان الإسلامية من قراءة القرآن الكريم باللحن الجلى والخفى بما يجعل الصدر يضيق ، أو أن الإنسان يصعق عندما يصلى وراء إمام يلحن في صلاته ويقرأ بإشياء لو إعتقدها كفر والعياذ بالله تعالى ، لذا فقد عزمت على هذا وأنكببت على تأليفه وإستجماع مادته فأقول وبالله التوفيق والقبول .

نشأة علم التجويد ومبادئه

إن علوم الشريعة كلها ، والكتب المدونة فيها جميعها، وهذا التراث الضخم العظيم ، وتلك المصنفات في الحديث والقديم ، لم يكن لها أصل على أرض الواقع المحسوس إلا في عقول وصدور وأعمال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فكانت عقولهم حاوية ، وقلوبهم واعية ، وأعمالهم مطابقة لما أمروا به وعلموه ، لم يفرطوا في آية ، ولم يدلسوا في حديث بل كانوا يعتنون بكل حرف خوفاً من الوقوع في أدني إثم ، فعقولهم حاوية لعلم الأصول والفقه ، وكيفية النقل وصحة تفكير العقل ، ويعرفون تطبيق ما أصطلح عليه من علوم العربية وهم أهلها ، وعلوم القرآن وفيهم نبيها ، وعلوم الحديث ومنهم قائلها ، وعلوم التفسير وهم أهل التأويل ، دون وضع مصطلحات لمعرفة هذه العلوم ، لأنهم يعرفونها بسليقتهم الذكية ، وطبيعتهم العربية وعقولهم النيرة الإيمانية .

وكل علم خطر ببال الأقدمين ، وسبح في فكر المحدثين إلى أن يأتي يوم الدين فهم أعرف الناس بشرع الله عن رسول الله ﷺ، فهم لمقاصد الشريعة عارفون، ومبادئها محققون ، فلما كانت هذه العلوم عندهم وهذه الجبال الراسيات في صدورهم، لم يحتاجوا إلى تدوينها، أو التكلم عليها لسلامة العقول، وصحة المفاهيم، ثم بعد وفاتهم رحمهم الله جميعاً، إختلط العرب بالعجم ، أصحاب العجمة في اللسان ، والعوج في الكلام ، أثر ذلك في كلام العرب فظهر اللحن وتفشى ، وبان التحريف وتجلى ، وضعفت العقول عن فهم كلام العرب ، وبالتالي فهم القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فقام من في قلبه سورة الإيمان ، والدفاع عن السنة والقرآن أولئك الذين إصطفاهم الله لحفظ كتابه ، وتبيين كلامه ، بتدوين العلوم ، وتصحيح الفهوم فقعدوا القواعد وحدوا الحدود ، في كل علم وفن أخذوه من ألسنة الصحابة رضى الله عنهم وأعمالهم وعقولهم .

وما زال ذلك إلى أن أصبح كل علم من علوم الشريعة له أحباره وعلماؤه

العظام ، والفحول العارفون الكبار ، فما من فن إلا وأصبحت التأليفات فيه جبالاً شامخة ، مع تدقيق الكلام وتمحيصه بدقة بالغه .

وقد علموا أن هذا واجباً عليهم أو حجة لهم أو عليهم ، فلم يفرطوا في تدوينه ولم يقصروا في تفهيمه ، لأن فهم القرآن الكريم واجب ، وحفظ السنة المطهرة أمر محتوم ، لذلك وجبت العلوم الخادمة ، التي تكون سبباً في فهمهما وموصلة إلى ضبطها ، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، ونحن نتعرض لبعض هذه التأليفات في أولها لنثبت ما قلناه بما هو معروف لدى الجميع ، وندفع الشبه التى إعترت المفاهيم وإنما هي ذكرى ﴿ **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ .

فأقول وبالله التوفيق والقبول :

من العلوم التي تخدم القرآن الكريم علم التجويد ، لأنه سبب في حفظ تلاوته وقراءته ومبانيه ، بل حفظ معانيه وفهم ما فيه ، لأن الألفاظ قوالب المعاني وإن لم يحفظ اللفظ فأين الفهم ، وإن لم يحفظ المبنى فأين المعنى ، لذلك كان فرضاً كفائياً علمه ، وعينياً عمله ، فما الدليل على ذلك والشاهد لذلك ونحن نقول إذا قام الشاهد والدليل وضح المنهج والسبيل ، ومن عرف أنس ومن جهل إستوحش .

فالتجويد مثل العلوم الأخرى كان في أذهان وعقول وعمل الصحابه رضي الله عنهم أجمعين ، مثاله مثال علم الأصول والفقه وغير ذلك من العلوم ، وكما أن علم الأصول كان في ذهن الصحابة وأعمالهم وفي ذهن أمثال عبدالله بن مسعود الصحابي الفقيه الأصولي عندما كان يقول : إن الحامل المتوفي عنها زوجها تنقضي عدتها بوضع حملها لقوله تعالى ﴿ **وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ .

ويستدل بأن سورة الطلاق التي فيها هذه الآية نزلت بعد سورة البقرة التي فيها قولـه تعالى ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة**

أشهر وعشراً ﴾ . إنما كان يشير بهذا الإستدلال إلى قاعدة من قواعد الإصول وهي أن النص اللاحق ينسخ النص السابق أو يخصصه أو يقيده أو يفصله وهذا من التخصيص ، وإن لم يصرح بذلك وكما هي العادة أن الشيء يوجد ثم يدون ، فالتدوين كاشف عن وجوده لا منشيء له كما في علم النحو والفقه وغير ذلك ، فما زالت العرب ترفع الفاعل وتنصب المفعول في كلامها ، وتجري على هذه القاعدة وغيرها من قواعد النحو قبل تدوين علم النحو وهكذا في جميع العلوم(١) . أ . هـ بتصرف يسير .

وعلم التجويد كانت الصحابة تنطق به دون أن يقعدوه فكان على ألسنتهم لأنهم يقرأون به القرآن الكريم ، فهم يخرجون كل حرف من مخرجه ، ويعطونه حقه ومستحقه وكيف لا وهم أهل اللغة العربية ، فما علم التجويد إلا تقنين لواقع نطقهم وطريقة تلاوتهم .

وكذلك لقوه للتابعين رضي الله عنهم أجمعين ، فلما إختلط العرب بالعجم جاء اللحن وعدم إقامة الحروف على وجهها المعروف لدى العرب الأفحاح ، أهل الفصاحة والبيان ، فاضطر علماء العربية والقراءة المعتنون بتلاوة القرآن ، أن يقعدوا القواعد لهذا العلم ووضعوه وسموه بعلم التجويد ، إستناداً للغة العربية ، ولما تلقوه عن التابعين عن الصحابة عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العزة والملكوت ، فهيا بنا نعرف نبذةً صغيرة عن هذا العلم الشريف .

ولكي نعرف أي علم من العلوم أو فن من الفنون يجب علينا أن ندرس مبادىء له عشره ليحدث في الذهن إدراكه ، ويسهل تصوره ، ويحصل تميزه ، فقد جمعها بعضهم في قوله :

إن مبادىء كل فن عشره ... الحد والموضوع ثم الثمره
وفضله ونسبة والواضع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ... ومن درى الجميع حاز الشرفا

---

(١) الوجيز في أصول الفقه ص ٨٤ .

فالحد وهو التعريف وفائدته توصيل المعرف إلى ذهن السامع من أقرب طريق بلفظ جامع لفروعه مانع لدخول غيرها .

فتعريف علم التجويد في اللغة هو التحسين ، من أجاد فلان قراءة القرآن أي أحسن قراءته .

ولعل المعنى اللغوي بين الترتيل والتجويد الذي سيأتي توضيحه وبيان معناه في المعاجم والقواميس مشترك فهذا تحسين وذاك تحسين فعبر العلماء عن الترتيل الموجود في الآية والتجويد بمعنى واحد وهو التحسين .

وفي الاصطلاح : هو إخراج كل حرف من مخرجه مع عطائه حقه ومستحقه «أي ضبط النطق باللفظ القرآني من حيث ذات الحرف وماهيته وصفاته كما في العربية» .

ومعنى المخرج أي المكان الذي يخرج منه كل حرف بحسبه من أعضاء النطق في الإنسان والحق هو الصفات اللازمة الأصلية للحرف التى تقيمه ولا غنى للحرف عنها ، والمستحق هو صفاته العرضية التي تضبط الكلام وتزينه حتى لا يوجد فيه لحن مذموم ولا خطأ فاحش مكروه ، فالحرف مثل الانسان له منشأ يصدر عنه وله صفات أصيله جوهرية وصفات عرضية ، فالمخارج موجودة كما بينها علماء العربية كل في كتابه ، ونظمها ابن الجزري المحدث المقرىء في مقدمته في باب مخارج الحروف وأيضاً أتى بالصفات اللازمة الأصلية لكل حرف في باب صفات الحروف .

وأنا قد وضعت أبياتاً تبين الصفات العرضية للحروف فقلت :

إسمع كلامى في الصفات مجملاً ... حتى تكون عالماً لا جاهلاً
فعارض الصفات في الكلام ... تدور في الإظهار والادغام
والقلب والاخفاء والتفخيم ... وبعده الترقيق يا عليم
والسكت والسكون ثم المد ... والقصر يا فتى وتم العد

والموضوع : وموضوع علم التجويد هو القرآن الكريم ، وقيل السنة النبوية المطهرة .

وثمرته : هي قراءة القرآن دون خطأ فيه ولا لحن ، أي عصمةَ اللسان عن اللحن في القرآن .

فضله : من أشرف العلوم وأفضلها لتعلقه بكلام خالق الاكوان .

نسبته : هو من علوم الآلة كبقية علوم العربية ، التي تنتسب إلى اللغة العربية .

واضعه : أولاً كان واقعاً فطرياً في ألسنة العرب ولهجاتها ثم أصبح إلزاماً شرعياً دون تقعيد منذ نطق به رسول الله ﷺ بعدَ أن أنزل الله تبارك وتعالى القرآن به والدليل على ذلك قوله سبحانه ﴿ **وكذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً** ﴾ ثم أول مثبت له عملياً في الدنيا بدون مصطلحات هو رسول الله ﷺ ، وهذا الوضع لم يطلق عليه علم التجويد بقواعده المعروفة الاصطلاحية ، ولكن كان معمولاً به في النطق بالقرآن الكريم ثم اختلف في أول من ألف فيه، فقيل لعل أول من ألف فيه وجمع فيه كتاباً ، وجعل هذا العلم يولد وضعه بعد أن كان موجوداً أصله ، فجعله علماً يتدارس ويحفظ بقواعد ويحد بحدود هو الإمام العظيم والجهبذ المتين أبو عبيد القاسم بن سلَّام أدخلنا الله وإياه والمسلمين في دار السلام ، في القرن الثالث الهجري فقد ألف «كتاب القراءات» الذي قال عنه الحافظ الذهبي ولأبي عبيد كتاب في القراءات ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله .

وقيل إن أول من وضعه علماً وجمع القراءات هو الإمام المتقن حفص بن عمر الدوري الذي توفى رحمه الله تعالى في سنة ٢٤٦ هـ .

وفي القرن الرابع الهجري وضع الحافظ أبو بكر بن مجاهد البغدادي كتابه المعروف بالسبعة الذي جمع فيه القراءات السبعة وهو أول من سبع السبعة وأفرد القراءات السبعة المشهورة في كتاب وتوفى رحمه الله سنة ٣٢٤هـ .

وفي القرن الخامس إشتهر الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، وهذا العلم له دان فقطف منه الكثير وسمى كتابه التيسير في القراءات السبع ، والذي صار بتيسير الله تعالى عمدة القراء بعده ، فهم يدورون حوله شرحاً ونظماً وقراءة وإقراءاً .

ولأنه كان تقياً ورعاً حافظاً علامه ، ولا نزكي على الله أحداً ، منَّ الله عليه بنعمة التصنيف والتأليف فقد قال عنه الحافظ الذهبي : بلغني أن له مائة وعشرين مصنفاً وقد عد ابن الجزري منها في طبقاته واحداً وعشرين كتاباً .

توفى رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته سنة ٤٤٤هـ .

وأشتهر في هذا القرن أيضاً الإمام العلامة مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني فقد كان له تآليف كثيرة ، وله في هذا العلم وغيره اليد الطويلة ، وذكر ابن الجزري في طبقاته أن له نيفاً وثمانين تأليفاً ، ومن أشهرها التبصره ، والإبانة في معاني القراءات والرعاية في التجويد .

وفي القرن السادس الهجري أشتهر الفحل الكبير ، العالم النحرير ، التقي الأمين الذي تسابق الناس على حرزه ، وأنكبوا على وجه تهانيه ، فقد نظم في القراءات السبع المنظومة العجيبة ، التى كانت سبباً في حفظ القراءات المسماه «حرز الأماني ووجه التهاني» .

وهذا الإمام هو أبو القاسم بن فيرُّه بن خلف بن أحمد الرعينى الشاطبي الأندلسي ، صاحب القلب الرقيق ، والنظم الرقيق والكلام الحلو ، والوعظ المؤثر .

توفى رحمه الله تعالى ، وطيب ثراه وجعل الجنة مثواه سنة ٥٩٠هـ .

وبعد الإمام الشاطبي العظيم ، ما زالت العلماء تترى حاملين لواء القرآن ، أخذين بركاب علومه يلقونه لمن بعدهم ، باذلين كل غال ونفيس لخدمة هذا القرآن العظيم ، وهبوا أعمارهم لخدمته ، وحياتهم للتصنيف فيه والتأليف لكي

يكونوا سبباً في حفظه ، وما زال الأمر كذلك حتى إمتن الله على هذه الأمة بعالم نحرير إمام الفن ، محقق المحققين ورئيس طائفة القراء والمقرئين والمحدثين ، لم يكن علمه مقتصراً على القراءة فحسب ، بل كان عالماً بالنحو واللغة ، حافظاً للحديث وعلومه دارساً للفقه وأصوله ، فحلاً في البلاغة والفصاحة والقول ، وغيرها من العلوم وهذا العالم هو الإمام ابن الجزري الشافعي ، فقد أنعم الله عليه بتأليف الكتب ونظم المتون ، فقد ألف ما يخدم هذا الفن ويحفظ مباني القرآن ومعانيه منها النشر في القراءات العشر ، فقد ضم إلى السبعة ثلاث قراءات التى جمعها في نظمه المسمى «الدرة المضية» ثم نظم في هذه القراءات العشر منظومة سماها «طيبة النشر» ونظم في التجويد ما يسمى «المقدمة فيما على قارئه أن يعلمه» فكان هذا الرجل مدافعاً عن القرآن وعلومه ، وسبباً لحفظ القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وما زال العلماء من بعد هؤلاء عيالاً عليهم في التأليف والتصنيف والبسط والإختصار كما هو الشأن في جميع العلوم وشتى الفنون إلى يومنا هذا فلم ينقطع السند ، ولم يتوان المدافعون عن كتاب رب العالمين ، ولن يتوانوا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها أجمعين ،

الإسم : إسمه علم التجويد .

الإستمداد : من نطق رسول الله ﷺ ومن نطق الصحابة والتابعين نقلاً عنهم رضي الله عنهم أجمعين .

حكم الشارع فيه : والكلام على هذا مهم بل فـذ كان هذا التأليف من أجله ، فنؤجل الكلام عليه لنعرف الأقوال والأدلة والترجيح بإذن الله تعالى .

مسائله : أي جزئياته ، وهي صوتيات اللغة وآداب القراءة ومعرفة أحكامها ، مثل كل نون ساكنه أو تنوين وقع بعدها حرف من حروف الحلق كان حكم النون الساكنه أو التنوين الإظهار وهكذا .

حكم تجويد القران

يرى الناس في حكم تجويد القرآن ثلاثة آراء :

الرأي الأول : يقول إنه بدعه .

الرأي الثاني : يقول إنه مستحب .

الرأي الثالث : يقول هنا تفصيل فالتجويد ينقسم إلى علمي وعملي .

فالتجويد العلمي : وهو أن تنطق بالحكم وتعرف ما إسمه ولماذا حكمنا به وما حروفه وغير ذلك فمثلاً إذا نطقنا بالإدغام نعرف ما هو الإدغام في اللغة والإصطلاح وحروفه وسببه وأقسامه وغير ذلك وهذا فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين .

والتجويد العملي : وهو أن تنطق بالإدغام مثلاً ولا تعرف إسمه.ولا سببه ولا أي شيء مما ذكرناه ولكن تنطق بالاحكام جميعاً نطقاً صحيحاً بصرف النظر عن معرفة إسمها أو أي شيء منها إلا النطق الصحيح ، وهذا فرض عين على كل من أراد أن يقرأ شيئاً من القرآن ذكراً كان أو أنثى .

ونحن نعرض دليل كل رأي من هذه الآراء ، والرد عليه من قبيل أصحاب الرأي الآخر ، ثم نرجح الذي نعتقده وندين به وأقول : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، إهدني لما أختلف فيه من الحق بإذنك فإنك تهدي من تشاء إلى صراطك المستقيم .

أدلة من قال بالبدعية والرد عليها

الدليل الأول : أن هذه القواعد والتهوعات والأشياء المسماه بقواعد علم التجويد ما أنزل الله بها من سلطان ، لأن الصحابة رضوان الله عليهم ما كانوا يعرفونها ، وهم أعرف الناس بشرع الله عن رسول الله ﷺ .

الدليل الثاني : إن الدين يسر وهذا العلم والتدرب عليه عسر ، فلذلك ينافي الدين في حقيقته ، فكل ما خالف شيئاً في أصل الدين فهو باطل ، فلذلك كان التجويد باطلاً .

الدليل الثالث : إن هذه القواعد وضعها القراء لأن هذا عملهم ويأكلون به ، فلو ذاع في الناس أن التجويد باطل لماتوا جوعاً ، ولما وجدوا ما يعينهم على ذلك ، فدفاعهم عنه دفاع حياة ولقمة عيش .

الدليل الرابع : ليس هناك آية أو حديث يدل على ذلك ، ونحن نتبع الدليل ، فمن أين أتت هذه الأشياء ؟

الرد على هذا القول المنكر

الرد على الدليل الأول : نقول لا دليل لهذا الرأي على أن هذه القواعد ما أنزل الله بها من سلطان ، فإن كان يقصد بالقواعد تدوين علم التجويد فمعروف أن علم التجويد لم يكن له وجود في الكتب والتأليفات ، على أرض الواقع المحسوس إلا كما وضحناه في نشأة هذا العلم شأنه شأن العلوم الأخرى .

وإذا كان هذا الرأي لا يعترف بهذا فنقول إنه لا يعترف بالعلوم الموجودة الآن كلها وبذلك يلغى تراثنا ، لأن قواعده لم تكن موجودة على أرض الواقع المحسوس في نصوص ثابته ، لكن كانت موجودة في عقول وصدور وأعمال الصحابة والعرب القدماء وعلم التجويد كذلك ، فإذا أراد رسول الله ﷺ لم يقرأ بهذا فعليه أن يصف لنا قراءة رسول الله ﷺ ولن يستطع لأن أنس رضي الله عنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال كانت مداً مداً ، وفي حديث آخر كانت حرفاً حرفاً .

وحديث ابن مسعود الآتي في محله بإذن الله تعالى والقرآن يدل على

الهيئة التي طولب رسول الله ﷺ أن يقرأ بها .

الرد على الدليل الثاني : يقولون إن الدين يسر وتعلم التجويد أو قراءة القرآن بالتجويد عسر ، نقول له نعم الدين يسر ، ولا نسلم لك بالشطر الأخير وهو التجويد عسر فقد فرض الله تعالى ما هو أعسر من التجويد وكلفنا به ، ألا وهو الجهاد بل الحج بل الصيام فهو أعسر من التجويد بمراحل عديدة ، وقد كلف الله تعالى سيدنا إبراهيم أبا الأنبياء بأعسر الأشياء وهو قتل إبنه الوحيد وكلف إسماعيل بالتسليم لأبيه فمدعاك باطل ، والله لا يكلف إلا بما يعلم قدرة عباده عليه وإلا لم يكن تكليفه عن حكمة جل ربنا عن ذلك وليس هذا مما يخالف حقيقة الدين بل هو حقيقة الدين وكما قال رسول الله ﷺ «**ألا إن سلعة الله غالية**» ثلاث مرات ثم قال : «**ألا إن سلعة الله هي الجنة**» .

والشيء الغالى لابد من أن تجد نوع صعوبة وعسر من أجل الحصول عليه ما لم يصل إلى حد لم تستطعه فهنا نقول لك : «**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**» وهذا يكون أمراً فرداً لصاحب ضرورة .

الرد على الدليل الثالث : أما القول بأن هذه القواعد وضعها القراء لأن هذا عملهم ويأكلون به ، فهذا باطل لا محالة ، وأن الله تعالى قال عن نبيه ﷺ ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾ فإذا قال الله تعالى ذلك عن نبيه ﷺ الذي إصطفاه من خلقه بل من الناس بل من الأنبياء بل من الرسل بل من أولى العزم من الرسل فما بالك بمن هو أقل منه في المنزلة ، والذي فرق بينه وبينه كالسماء والأرض أيسمح له الله تعالى أن يبدل في كلامه ويحرف ويزيد عليه أشياء لم تكن موجوده في نزوله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وإلا فأين حفظ الله لكتابه إذا ترك القراء يعبثون بحروفه وطرائق أدائها وقد أسلفنا ثبوت ذلك عن النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم .

وقد قال ﷺ «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» «**ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**» أبعد هذا يأتي أناس أشتهروا بالعلم والورع والتقوى والزهد وتطليق الدنيا ونقول إنهم يقولون ذلك من أجل لقمة عيش تخرج بعد ذلك فضلات يتأذى منها ، سامحكم الله تعالى وهدانا وإياكم إلى صراطه المستقيم .

الرد على الدليل الرابع : أما قولهم ليس هناك آية أو حديث فقد قلنا إنه قد وردت آيات وأحاديث كثيرة في هذا المقام سنوردها في محلها بإذن الله تعالى والله الموفق والمعين ، ومعلوم في الأصول أن المثبت مقدم على النافي ونحن نثبت بحمد الله هذه الأحكام بما ورد عن السلف الصالح رضوان الله عليهم .

أدلة القائلين بالاستحباب والرد عليها

الدليل الأول : ودليلهم الأول هو عدم وجود الدليل على فرضية التجويد ، وإنما النصوص الواردة على سبيل الاستحباب من باب تحسين التلاوة والقراءة بالقرآن .

الدليل الثاني : العرب كانوا يسرعون ولا يشبعون الحركات إشباعاً كاملاً في كلامهم العادي ـ كما هو معروف في علم التجويد حركتين حركتين في الإدغام بغنه والإخفاء والغنه وغير ذلك ـ والقرآن إنما نزل بلغة العرب فلا بد من نطقه كذلك لأننا لو لم ننطق بالقرآن الكريم ، كالعربية ، ما صدق على القرآد أنه بلسان عربي مبين ، ونحن لا ننكر بأنه يوجد في لغة العرب الإدغام والإخفاء والإقلاب وغير ذلك إنما ننكر الفرضية بهذه الهيئة التي هو عليها الآن من الإشباع حركتين حركتين والمد اللازم وغير ذلك فلو كان العرب يتكلمون بهذا ما أستطاع أحد منهم أن يقضي حاجته إلا بعد حين من بطىء كلامه .

الدليل الثالث : إن معنى الترتيل في قوله تعالى ﴿ **ورتل القرآن ترتيلاً** ﴾ ليس معناه التجويد المعروف ولا النطق بالقرآن كما يقرؤه القراء الآن ، بل معناه إقرأه على تؤدة ، وتمهل ، والتؤدة والتمهل لا تقتضي النطق بالغن والمد اللازم وغير ذلك من قواعد التجويد .

الدليل الرابع : قوله ﷺ «**الماهر بالقراءة مع السفرة الكرام البررة ، والذي يتتعتع به وهو عليه شاق له أجران**» .
معنى ذلك أن الناس مختلفون فيه فمنهم من يقرؤه حق القراءة ، ومنهم من لا يقرأه ومع ذلك فله أجران ، ولم يقل رسول الله ﷺ إنه آثم بل قال : له أجران ولم يذكر أنه يتتعتع وهو يتعلم بل قال : يتتعتع فقط ، ولم يربط التعتعة بالتعليم .

الدليل الخامس : وصف قراءته ﷺ بأنه كان يمد في «**بسم الله الرحمن الرحيم**» معنى ذلك أن الألفاظ كلها تمد مثل بعضها البعض ، ولا فرق بين كلمة الله والرحمن الرحيم أي كل كلام يمد مثل بعضه البعض ، أن لو كان هناك إتباع لقواعد معينه ما روى ذلك عن رسول الله ﷺ ، ولأختلف الكلمات في المد .

الدليل السادس : قوله ﷺ «**إن الله يحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل**» وقال أيضاً صلوات الله وسلامه عليه «**من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد**» وفي رواية أراد أن يقرأ القرآن الخ .
أي والذي لم يحب والذي لم يرد لا يقرأه كما أنزل وليقتصر في قراءته وكذلك ليس من المعقول أن الناس جميعاً سيقرأون على ابن أم عبد لأنه أعرف الناس بالقراءة التي نبه عليها رسول الله ﷺ فلكى يصلوا إلى قراءته لابد أن يقرؤا عليه لأنه أعرف بقراءته ومعلوم ومعروف أن الوقت لا يتسع لهؤلاء جميعاً فبين ذلك أن معنى الحب هنا أو الارادة هو التخيير بين قراءة القرآن كما أنزل وقراءته قراءة عادية مثل أي كتاب عربي ، ومعلوم أن الناس متفاوتون ، فمنهم أصحاب القدرات

الضخمة الهائلة ، ومنهم من قدرته مقصورة ، ومنهم من لا قدرة له وطاقات الناس أيضاً متفاوته فدل ذلك على أنهم ليسوا مخاطبين بهذا على وجه الإيجاب وإنما على وجه الاستحباب والله أعلم .

الدليل السابع : ثم نقول إن هذه الأشياء لم تصل لنا بالتواتر ولا نسلم أن قراءة رسول الله ﷺ كانت بهذه الطريقة الصعبة ، والذي يثبت قراءته بهذه الصوره المجوده فعليه أن يأتي لنا بدليل يبين هذا .

الرد على القائلين بالاستحباب

الرد الأول : إن الأدلة واضحة في ذلك وضوح الشمس في كبد السماء وسنوردها بعد إن شاء الله تعالى من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والاجماع وكذلك أقوال العلماء والفقهاء والمحدثين وغيرهم من القراء .
ثم نقول إن رأى الاستحباب لم ينكر التجويد بل أثبته ورغب فيه لأنه يقول عليه أنه مستحب أي يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه فهذه واحده .
الثانية أنه ينفي الدليل ومعنى ذلك أنه لم يقع في يده دليل على وجوبه أو لم يصله دليل ، وهناك فريق آخر يقول : إن هناك **أدلة كثيرة فعلى** النافي للأدلة أن يذعن ويسلم ما دامت الأدلة صحيحة لا غبار عليها كما سيأتي بإذن القوى المعين ، والمثبت حجته أكبر من الذي ينفي وهو مقدم عليه فتنبه لهذا وأحرص عليه .

الرد على الدليل الثاني : إنه من المعلوم والمعروف والمشهور عند العلماء وفي علم الأصول ما يسمى بالدلالة التضمنية وهي التي تدل على جزء معنى اللفظ كقولك مثلاً الانسان فيدل على جزئه وهو الناطق بالتضمن لمعنى الناطقية فكذلك بلسان عربي تضمنت دلالتها على مخارج الحروف وصفاتها وغير ذلك مما يميز اللسان العربي ، وهذا اللسان

ينطق بالإدغام والاقلاب وغير ذلك مما هو معروف عند علماء العربية ، وما دام أن القرآن عربي فالقرآن إذاً ينطق كذلك بالإدغام والإخفاء وغير ذلك ، ولكن اللسان العربي ينطق بهذه الأشياء بسرعة وبغير إشباع للحركات حركتين حركتين كل في محلة وكذلك أربعاً وخمساً وستاً في المد كما هو مذكور في علم التجويد ، فهل القرآن ينطق به كذلك ؟ .

نقول قد بين لنا الله تبارك وتعالى هذا حتى لا يختلف فيه إثنان فقال بلسان عربي مبين ، أي نزل بلغة العرب إلا أنه لم ينطق بسرعة وغير إشباع للحركات كما ينطق اللسان العربي بالكلام في جل أحواله ، بل إقرؤه كما أمركم في ورتل القرآن ترتيلاً أي على تؤدة وتمهل وتبيين للحروف وصفاتها ومخارجها وغير ذلك مما هو معروف .

فالأمر هذا فرق بين طريقة التلاوة القرآنية وبين طريقة التلاوة للكلام العربي العادي ، وكذلك أدلة كثيرة سنذكرها في محلها إن شاء الله تعالى ولو كانت الأحكام هذه من إبتكار القراء لأخذت سبيلاً واحداً وما إختلفت القراءات .

الرد على الدليل الثالث : نقول إن معنى الترتيل كما سيأتي بإذن الله تعالى في المعاجم والقواميس وهو تبيين الحروف والنطق بها واضحة ظاهرة وهذا الأمر الذي هو رتل كما قلنا يفرق بين قراءة القرآن وبين قراءة أي كلام آخر ، وكيف لا والقرآن كلام الله ليس ككلام البشر وهو منزه حتى في مسه فلا يمسه إلا المطهرون ، بخلاف الكلام العادي ، فأراد الله تعالى كما قلنا أن يميز القرآن عن أي كلام آخر بضرورة الالتزام به كما أنزل صوتاً ورسماً ، وقد نزل القرآن صوتاً يلقى على النبي ﷺ فلابد أن يقرأ كما أنزل .

الرد على الدليل الرابع : لو كان معنى التعتعة كما فسره القائلون بالاستحباب ما أستقام المعنى لأن التعتة تقتضي معرفة الصواب والرجوع إليه ، كما

سنبينه إن شاء الله تعالى في الدليل العاشر للقائلين بالفرضية ، وسيظهر واضحاً جلياً أنه حجة عليهم لا لهم بإذن الله تعالى فعليك به فإنه مهم .

الرد على الدليل الخامس : إن إخواننا الأحباب قد فهموا هذا الحديث أيضاً على خلاف مراده ، لأن هناك من العربية ما يسمى بالمد الطبيعى الذي لا نستطيع أن ننطق بالكلمة إلا به ، وكذلك يوجد ما يسمى بالمد العارض للسكون ، فكلمة الله تمد مداً طبيعيا حركتين عند الوصل ، وأثنين وأربعة وستة حركات عند الوقف ، وكذلك الرحمن الرحيم ، وهذا معروف في هذا العلم ، وليس كما فهموا إن جميع الكلمات تمد مثل بعضها البعض ، بل يدل هذا على قراءة رسول الله ﷺ كما سنبين ذلك بإذن الله تعالى .

وكذلك لأن إخواننا الأفاضل لا يعرفون هذا العلم ولم يدرسوه فبنوا قولهم على خطأ ، وكما هو معروف ومفهوم أنه لا يجوز لأحد مهما كان قدره أن يفتي في شي لم يعرفه ولم يدرسه كما سأوضحه بإذن الله تعالى عند كلام على الدليل الاجمالى الثالث وهو الإجماع فأنظره ولا تتركه .

الرد على الدليل السادس : ليس معنى الحب أو الارادة هنا التخيير كما فهموه وكما سنوضحه في الدليل السابع للقائلين بالفرضية ، وهذا أيضاً حجة عليهم لا لهم فتنبه فإنه يشكل على كثير من الناس .

الرد على الدليل السابع : إن إنكار إخواننا الاحباب تواتر قراءة القرآن بهذه الهيئة المجودة ، وعدم إثباتهم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بها أمر عظيم ، يجعلنا نعرف التواتر وشروطه كما عرفه علماء الأصول والمحدثون ، ولا يخرج أحد من الناس عن هذه التعريفات والشروط التي وضعوها كما هو مقرر ومعروف فنقول إن التواتر معناه أن جماعة كثيرة روت القرآن الكريم عن جماعة كثيرة عن جماعة كثيرة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب بصرف النظر عن العدد في كل جماعة ، بل القرآن بلغ هذا

العدد أكثر بكثير مما حدده جميع الأصوليين والمحدثين والمجتهدين حتى يصل المنقول إلى النبي ﷺ ، ويكون مستند علمهم بالأمر المنقول إلى النبي ﷺ المشاهدة والسماع ومن ذلك نعرف شروط التواتر بإختصار شديد ألا وهي :

١ ـ أن يكون الرواة جمعاً كثيراً تحيل العادة تواطؤهم على الكذب .
٢ ـ أن يكون الرواة في كل طبقة متصفين بالكثرة بصرف النظر عن كم يكون عددهم .

٣ ـ أن يكون مستند هؤلاء المشاهدة والسماع .

فهذه الشروط تفيد الخبر اليقين والعلم الضروري ، والقرآن قد بلغ الذرة في هذه الشروط جميعاً ، ولا ينكر أحد هذا أبداً ولا يستطيع ، لذلك كان هو الدليل الأول في التشريع وهو الذي يدور حوله باقي الأدلة المعتد بها عند أهل السنة والجماعة .

والكل يعلم أن هناك إختلافاً بين علماء الحديث في قولهم هل يروى الحديث باللفظ أم يروى بالمعنى ، وهذا في الحديث وفي القرآن إتفق العلماء على أنه لا يجوز أن يروى بالمعنى أبدا ولم يكن لرسول الله ﷺ أن يضع لفظة من عنده أو يرويه بالمعنى وهذا متفق عليه .

فإذا كان ذلك كذلك فهل يتخيل أن اللفظ يروى دون هيئة أو صفة محددة معينه، فإذا كان فريق الاستحباب يقول ذلك فهل يستطيعون أن يسموا لنا الذين تصدروا لتدريس القرآن من غير تجويد على مر العصور والأزمان ؟ .

وهل معهم سند إلى رسول الله ﷺ فيه سلسلة من الشيوخ الذين تلقوا عنهم القرآن بإنهم لقوهم كما يقولون بتلاوة مسترسلة من غير تجويد ؟

ثم إنهم مع إنكارهم هذه الهيئة عن رسول الله ﷺ يثيبون من يأت بها فهم بذلك بين نارين :

إمـا أن يتهموا رسول الله ﷺ بأنه لم يبلغ الرسالة على تمامها بعدم إحسانه للتلاوة لأنهم أثَابوا من قرأ القرآن بهيئة لم يقرأ بها رسول الله ﷺ ، وحاشا لإخواننا الأحباب أن يقع منهم هذا .

وإما أن يتهموا هذا الجمع الغفير من المسلمين مع أن فيهم الأئمة الأفاضل المعترف بإمامتهم وورعهم وزهدهم في الدنيا وخشيتهم من الله تعالى ولا نزكى على الله أحداً ونحسبهم كذلك والله حسيبهم .

ثم نقول لإخواننا الذين يقولون بالاستحباب أنه ينبني على قولهم أشياء منها :

أولاً : إنكار الواقع الملموس المحسوس وكما هو معروف ومشهور بأن الواقع لا يرتفع .

ثانياً : تكذيب القراء العلماء على مر العصور والأزمان وإتهامهم بالتحريف والتبديل .

ثالثاً : يصبح كلام العلماء والمحدثين وحوارهمْ في رواية الحديث باللفظ أم بالمعنى هباءاً منثوراً ، ويصبح هذا الكلام لا قيمة له لأننا نفينا عن القرآن هيئته مع أنها لا تنفك عن لفظه وشككنا في تواتره بهذه الهيئة فالتشكيك في هيئة السنة أولى .

رابعاً : الضرب بالذين تصدروا لتدريس القرآن في كل عصر وحين بالتجويد وبسندهم المتصل إلى رسول الله ﷺ عرض الحائط ومعلوم أنه لم يتصدر أحد من الذين يقال عنهم أنهم يسترسلون في قراءتهم لتعليم القرآن ، ولا سمعنا عن وجودهم على مر السنين ، وإنما المتصدرون هم الذين يقولون بالفرضية ويهتمون بالتلاوة الحسنة المتواترة ، وحاشا لإخواننا الأفاضل أن يقعوا في مثل هذا ، بل إننا نحسن الظن بهم، ونقول إنهم لم يهتدوا إلى دليل يشفى مافي صدورهم ويلهمهم الصواب .

فهـا نحن أولاً بينا في الرد على أدلتهم أنهم لا يستمسكون بحجة حقيقية

وسنبين بإذن الله تعالى الأدلة الكثيرة على فرضية تجويد كلام الله تعالى بالكتاب والسنة والاجماع وأقوال الفقهاء والمحدثين والقراء والعلماء بإذن الكريم المعين .

الرأي الثالث وهو القائل بالفرضية وأدلته

وهذا الرأي يقسم كما ذكرنا آنفاً التجويد إلى علمي وعملي ، ويقول إن التجويد العلمي فرض كفاية ، والعملي فرض عين والكلام عليه .

والمقصود بالتجويد العملي هو النطق بالقرآن الكريم نطقاً صحيحاً وقراءته قراءة صحيحة مجودة من غير لحن جلي ولا خفي دون أن يعرف السبب والعلة والتسمية وغير ذلك أي يقرأ بمخارج الحروف وصفاتها اللازمة والعرضية من إدغام وإخفاء وإشمام وغن ومد وغير ذلك ولا يعرف ماهى صفة الشدة مثلاً ولا من أين يخرج حرف العين ولا يعرف ما الإدغام وما سببه ولا حروفه ولا أي شيء من هذا ، إنما يعرف كيف ينطق بالقرآن نطقاً صحيحاً مجوداً كما كان يقرأه رسول الله ﷺ فهذا هو المقصود بالتجويد العملي وهو فرض عين على كل من أراد أن يقرأ شيئاً من القرآن وهو مستطيع فمن لم يستطع وشهد له معلمه بعد أن بذل أقصى ما في جعبته فنقول له قال الله تعالى ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾ (البقرة ٢٨٦)

والأدلة على الفرضية كثيرة :

الدليل الأول :

: القران عربي :

قوله ﴿ **إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون** ﴾ (يوسف ٢) .

وقوله تعالى ﴿ **قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون** ﴾ (الزمر ٢٨) .

وقوله تعالى ﴿ **إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون** ﴾ (الزخرف ٣) .

وقوله تعالى ﴿ **وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى** ﴾ (الشورى ٤٢) .

وقوله تعالى ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** ﴾ (إبراهيم ٤) .

وقوله تعالى ﴿ **لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** ﴾ (النحل ١٠٣) .

وقوله تعالى ﴿ **لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين** ﴾ .

وتفسيراً لهذا نقول : خلق الله البشرية وجعلهم شعوباً وقبائل وأنساباً وجعل لكل شعب لغة ولكل قبيلة لهجة ولكل شعب كلام ، ولكل من هذه اللهجات أو اللغات أو الكلام صفات محددة ومعايير معروفة مقدرة هي التى تفصل بين لغة ولغة ولهجة ولهجة ، وهذه الفروق جعلت كل لغة تسمت بأسم يختلف عن اللغة الأخرى فلذلك إختلفت اللغة العربية عن الانجليزية عن الفرنسية عن اللاتينيه ، وأصبح لهذه قواعد وحروف وصفات ، وتلك لها كذلك قواعد وحروف وصفات تختلف عن الأخرى وكلٌ له علماؤه وأحباره ، ونحن بصدد اللغة العربية التى هى أشرف اللغات لأنها نزل بها القرآن الكريم من لدن حكيم عليم فنقول :

إن الذي يستطيع أن يقرأ القرآن ويفهمه وينظر فيه ويتدبره هو العربي الأصيل الذي كانت سليقته عربية محضة ، ولا يفهم القراءة ولا يتدبرها ولا يعرفها من كان أعجمياً أو صاحب عجمة في اللسان فإنهما يلحنان ويخطئان إذا لم يسألا أهل العربية المحضة ، أو الذين تعلموها وأصبح لسانهم عربياً فصيحاً ، لهذا يقول الرسول ﷺ «**ألا إنما العربية اللسان**» .

فهيا بنا نعرف هل اللغة العربية لها صفات معلومة ، وهياكل محددة وحروف معروفة تميزها عن اللغات الأخرى ثم هذه الحروف هل لها مخارج معينه تنبثق منها ، وتصدر عنها ، وهل لها صفات ذاتية ، لا تنفك عنها وأخرى عرضية تنفك عنها تارة ، وتلازمها أخرى .

وهل كان في لغة العرب ما يسمى بالإدغام والإقلاب والإخفاء والغن والاشمام والإختلاس ، والإمالة وغير ذلك من قواعد علم التجويد فإذا وجدناه في لغة العرب فلماذا نستبعده ولا ننطق به في القرآن الكريم ، وقد جاءنا من رب العالمين

بلسان عربي مبين .

نقول : إن اللغة العربية عبارة عن أصوات وحروف يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، فاللغة العربية أصوات وحروف معلومة يعبر بها الناطقون عن أغراضهم فهي علم قائم بذاته له صفاته وهيئته وشكله ومبانيه ومعانيه وغير ذلك مما هو فيه .

وتنقسم إلى علوم كثيرة منها علم النحو الذي هو إنتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالجمع والتثنية والتحضير والتكسير والإضافة وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها ، فينطق بها ينطقون به ، ويعبر بما يعبرون به . وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها ومنها علوم البيان والبديع والمعاني والصرف وغير ذلك كما هو معروف عن أهل هذه الفنون وأرباب العربية .

فاللغة العربية لها خصائص معروفة تختلف بها عن اللغات الأخرى وإلا فمن أين تأتي التسمية لكل لغة إذا كانت اللغات متشابه في الجوهر والعرض والماهية والأحوال العرضية .

وكذلك حروفها تختلف فيما بينها ، وهي الحروف التسع والعشرون أو الحروف المولده فهي تختلف أيضاً فالألف غير التاء غير الطاء غير القاف وهكذا فلكل حرف مخرج معلوم ، ولكل حرف صفه معروفه ومفهومه .

حتى لو إجتمع حرفان في مخرج واحد أو ثلاثة في مخرج واحد لأختلفت صفاتها ففرق بينها ، فلو لم يكن هناك فرق بين الحروف ما سميت الألف ألفاً ، والياء ياءً ، والتاء تاءً ولسميت جميع الحروف ألفاً فنطلق على الباء أنها ألف وعلى التاء أنها ألف وعلى الياء أنها ألف وهكذا الحروف جميعاً ، لأنها أصبحت متحدة في المخرج متحدة في الصفة .

لكن الناظر في هذه الحروف وفي كلام العرب المتألف منها يعلم تمام العلم أنه ولو إتحد حرفان في المخرج إختلفا في الصفة ، فمثلاً الجيم تخرج من وسط اللسان

مثل الشين ، لكن الجيم فيها صفة الشدة ، والشين ليس فيها الشدة ، ولكن من صفاتها التفشي فلو لم نعط الجيم الشدة اللازمة لها لقلبت شيناً ، فبدلاً من أن نقول المجاهد نقول المشاهد فنقول على إثر ذلك «وشاهدوا في سبيل الله» بدلاً من «وجاهدوا في سبيل الله» وشتان بين الجهاد والمشاهدة ، ثم ما معنى كلمة المشتهد الذي ينطق بها كثير من الناس بدلاً من كلمة المجتهد ، وبهذا يختلف المعنى تماماً لأننا لم نعط الجيم حقها من الشدة وهذا يقع فيه معظم الناس وإنه لتبديل وتحريف لا يرضى به رب العالمين ، ثم تراهم لا يعبأون بهذا .

وكذلك ترى كثيراً منا يخرج جل حروفه من منخره أي من خيشومه فيطلق عليه العامة أنه أخنف ، فكلمة أخنف عند العامة هي كلمة مدلولها صحيح إذا أخذت التعبير العلمي الصحيح ألا وهو أنه لا يخرج الحروف من مخارجها الصحيحة أو يلحن في كلامه ، ويكون هذا شاذاً بين الناس في النطق ، وكثير من الناس يضحك منه عندما يتكلم ويقلده ليمزح مع إخوانه ، وهذا واقع ملموس .

وكذلك الذي يخرج جل الحروف من حلقه ويقولون عليه بالعامية إنه يخرج الحروف من زوره أي من حلقه فمثله مثل الأخنف لاحناً ، مع أن الناس لا يسمونه لاحناً ولكن يعيبون عليه هذا لأن هذا خلاف المعتاد أو الصحيح الذي عليه الناس ، فلذلك كانت العرب تهتم بمخارج الحروف وصفاتها ، وكانوا أهل بيان في اللفظ وفصاحة في القول فجعلوا المخرج للحرف بمثابة الوزن والمقدار ، والصفة له بمثابة المحك والمعيار وبذلك بلغوا الذروة في الفصاحة والبيان وإظهار المعنى والكلام .

ثم الدارس لهذه اللغة يعلم أن هناك الآن معاهد للصوتيات يهتم فيها بالحروف جميعاً وأماكن خروجها وصفاتها وحقوقها ومستحقاتها وهذا واقع محسوس ملموس لا يمكن إنكاره .

ومن دقة إعتناء العرب بالكلام والحروف فإنهم لو غيروا حركة حرف بحركة

أخرى على نفس الحرف في كلمة واحدة لتغير معناها وقلب فحواها ، وتغير موضوعها ، فمن ذلك كلمة «كلم» فعندما تكون كَلْم تكون بمعنى الجرح وذلك للشدة التي فيه وقالوا في قوله سبحانه وتعالى ﴿ **دابة من الأرض تكلمهم** ﴾ .

قولين أحدهما من الكَلَام والآخر من الكِلام أي تجرحهم وتأكلهم وقالوا الكُلَام ما غلظ من الأرض وذلك لشدته وقوته الخ .(١)

وكذلك النطق الصحيح عندما نقول خزانة فلا تنطق إلا بكسر الخاء وكذلك القصعة فلا تنطق إلا بفتح القاف كما قال بعضهم ليضبط هذا لا تفتحوا الخزانة ولا تكسروا القصعة .

وهكذا كثير في لسان العرب وغيره من كتب اللغة من أراد الازدياد فعليه بكثرة البحث والاجتهاد .

وكلامي هذا حق واضح مبين وليس إفتراءاً على العرب الاقدمين ولا إثباتاً لرأى بعض المحدثين ولا إنتصاراً لما يدور في رأسي أو متربع على قلبي ، وإذا أردت أن تعرف ذلك فأمشي هنالك ، وأذهب الى الشيوخ ليدلوك على المكتبات لتطلع وترى فحول العربية يقولون لك تعال لكي تعرف ، وحفاظ اللغة يصرحون لك أن اسمع لكي تعى وجهابذة الكلام ينظرون إليك ويقولون سل لكي تدري أمثال ابن الحاجب وسيبويه ، والفرّاء وابن خالويه ، والأخفش والكسائي ، وابن هشام والسكاكي ، والزمخشري وابن جنى ، من البصريين والكوفيين وغير هؤلاء من الأئمة الاعلام في علوم العربية كثير .

وأقول في علوم العربية لأن عملهم هو إثبات كلام العرب فقط دون تحيز إلى ما يفهمون ولا مجال لهم في إظهار ما يبطنون ، أو التنويه مما يعتقدون فهؤلاء يقولون لنا لما كانت الألفاظ للمعاني أزمة ، وعليها أدلة وإليها موصلة وعلى المراد منها محصلة عنيت العرب بها فأولتها صدراً صالحاً من تثقيفها وإصلاحها وتعديلها وتخفيفها وظهورها بأبلغ منطق وأحسن بيان وخير كلام وأفضل مقال كما قال ابن جنى في كتابه الخصائص .

---

(١) الخصائص لابن جنى ج١ ص ١٣ ، ١٤

لذلك فقد أثبت هؤلاء في كتبهم الإدغام والإظهار والإخفاء والغنه والمد والقصر والإشمام والإختلاس وغير ذلك .

وجود الادغام والاقلاب والاخفاء والغن وغير ذلك في لغة العرب

أولا : وجود الادغام بغنه وبغير غنه

ولقد قال ابن يعيش في شرحه على المفصل :

قال صاحب الكتاب «أى المفصَل» :

والنون تدغم في حروف يرملون كقولك من يقول ، ومن راشد ، ومن محمد ، ومن لك ، ومن واقد ، ومن نكرم .

وإدغامها على ضربين «إدغام بغنه وبغير غنه»

قال الشارح «ابن يعيش» :

النون تدغم في هذه الحروف الستة التي يجمعها كلمة يرملون ، فأما إدغامها في مثلها فلا أشكال فيه ، وأما الخمسة الباقية وهى الراء واللام والميم والياء والواو فإنها مقاربة لها في المنزلة الدنيا من غير إخلال وإدغامها في الراء واللام أحسن من البيان لفرط الجوار وذلك نحو من لك ومن راشد ، والبيان جائز ، وإدغامها في الميم نحو من محمد وممن أنت وذلك إن الميم وإن كان مخرجها من الشفة فإنها تشارك النون في الخياشيم لما فيها من الغنة والغنة تسمع كالميم فلذلك تقعان في القوافي المكفأة نحو قوله :

بنى إن البر شيء هين المنطق اللين والطعيم

وأما إدغامها في الياء والواو نحو من يأتيك ومن وال فذلك من قبل أن النون بمنزلة حروف المد نحو الواو والياء لأن فيها غنة كما أن فيها ليناً ، ولأن النون من مخرج الراء ، والراء قريبة من الياء ، ولذلك تصير الراء ياءاً في اللثغة وهي تدغم

بغنة وبغير غنه فإذا أدغمت بغير غنة فلأنها إذا أدغمت في هذه الحروف صارت من جنسها فتصير مع الراء راء ومع اللام لاماً ومع الياء ياءً ومع الواو واواً هذه الحروف ليست لها غنة ، وأما إذا إدغمت بغنة لأن النون لها غنة في نفسها والغنة صوت من الخيشوم يتبع الحرف ، وإذا كان للنون قبل الإدغام غنة فلا يبطلونها بالإدغام حتى لا يكون أثر من صوتها .

قال صاحب المفصل ، «ولها أربع أحوال أحدها الإدغام مع هذه الحروف والثانية البيان مع الهمزه والهاء والعين والحاء والغين والخاء كقولك من أجلك ، ومن هانىء ، ومن عندك ، ومن حولك ، ومن غير ، ومن خانك إلا في لغة قوم أخفوها مع الغين والخاء فقالوا منخل ومنغل»

وجود الاظهار المطلق

قال ابن يعيش يريد أن النون لها أربع أحوال حال تكون فيها مدغمة وهي مع حروف يرملون ، وقد تقدمت علة ذلك إلا أنه قد يعرض في بعضها ما يوجب ترك الادغام فيه وهي الميم والياء والواو نحو قولك شاة زنماء وغنم زنم ، فإن هذا لا يسوغ فيه الادغام والبيان هو الوجه .

قلت : «هذا في علم التجويد يسمى الإظهار المطلق مثل قنوان وصنوان ودنيا وغير ذلك» .

وقال ابن يعيش ولذلك يتوهم إنه من المضاعف لو قالوا زمَّاء وزمَّ وكذلك قنوه وقنيه وكنية لا يسوغ الادغام في ذلك كله لئلا يصير بمنزلة ما عينه ولامه واو ان من نحو القوة أو ياء إن كقولك حيه وقد تقدم ذلك قبل قلت : في نفس كتابه .

وجود الاظهار الحلقي في لغة العرب

وأما الحال الثانية هو أن تبين ولا تدغم ولا تخفي وذلك مع حروف الحلق الستة وهي الهمزه والهاء والعين والحاء والغين والخاء كقولك من أبوك ومن هلال ومن

عندك ومن حملك ومن غيرك ومن خالفك ، وإنما وجب البيان عند هذه الحروف لتباعدها منها في المرتبة القصوى فليست من قبيلها فلم تدغم لذلك في هذا الموضوع كما أن حروف اللسان لا تدغم في حروف الحلق ولم تخفى عندها كما لم تدغم لأن الإخفاء نوع من الإدغام وبعض العرب يجري الغين والخاء مجرى حروف الفم لقربهما منها فيخفيها عندهما كما يفعل ذلك عند الكاف والقاف فيقول منخل ومنغل والأول أجود وأكثر لأنهما من حروف الحلق فكانتا كأخواتهما فاعرفه .

وجود الاقلاب والاخفاء في لغة العرب

قال صاحب المفصل : والثالثة القلب إلى الميم قبل الباء كقولك شمباء وعمبر والرابعة الاخفاء مع سائر الحروف وهي خمسة عشر حرفاً ، كقولك من جابر ومن كفر ومن قتل ، وما أشبه ذلك .

قال أبو عثمان وبيانها مع الفم لحن .

الحالة الثالثة : وجود الاقلاب

قال ابن يعيش : الحال الثالثة أن تنقلب ميماً وذلك إذا كانت ساكنة قبل الباء نحو عمبر وشمباء ، وإنما قلبوها ميماً هنا لأنه موضع تقلب فيه النون ، ومعنى قولنا تقلب فيه أى تدغم لأنها تدغم مع الواو والميم اللذين هما من مخرجها «أى مخرج الباء» فلما اجتمعت مع الباء وكانت النون الساكنة بعيدة عن الباء في المخرج ومباينة لها في الخواص التي توجب الشركة بينهما لم يكن سبيل إلى الإدغام ففروا إلى حرف من مخرج الباء وهو الميم فجرى ذلك مجرى الإدغام وليس في الكلام كلمة فيها ميم قبل الباء فيقع فيه لبس فأمنوا اللبس .

الحالة الرابعة : وجود الإخفاء

وأما الرابع وهو الإخفاء مع سائر الحروف وهي الخمسة عشر حرفاً التي ذكرها وإنما أخفيت عندها لأنها تخرج من حرف الأنف الذي يحدث إلى داخل الفم لا من المنخر ، فكان بين النون وحروف الفم إختلاط فلم تقو قوة حروف الفم فتدغم فيها ، ولم تبعد بعد حروف الحلق فتظهر معها وإنما كانت متوسطة بين القرب والبعد ، فتوسط أمرها بين الأظهار والإدغام فأخفيت عندها لذلك فلها ثلاثة أحوال الإدغام والإخفاء والإظهار ، فالإدغام للتقارب بالحد الادنى والإظهار للتباعد بالحد الاقصى ، والإخفاء للمناسبة للحد الأوسط .

قال أبو عثمان المازني «وبيانها مع حروف الفم لحن» لما ذكرناه فاعرفه أ . هـ(١) .

قلت :

وكذلك يوجد الإختلاس والإشمام والمد والقصر وغير ذلك ، وكل هذا الكلام موجود أيضاً في شافية ابن الحاجب وشرحه للرضى وكذلك في الكتاب لسيبويه وجميع كتب اللغة التي تتحدث عن لغة العرب وتصفها ، وإنما أتيت بشرح ابن يعيش لأنه مفصل المجمل وشارح بإسلوب سهل يستطيع كل أحد أن يفهمه ومن أراد الإزدياد والتنقيب فعليه بالإطلاع على هذه الكتب وغيرها ليعرف ويعلم والله الموفق والمعين .

ومن لم يعرف لغة العرب ويعلم هذه القواعد العربية الاصيلة وينطق بها يكون لاحناً وقد قال رسول الله ﷺ «**في رجل قرأ فلحن أرشدوا أخاكم**»(٢) وفي رواية فقد ضل .

ذَم اللحن :

وذمت العرب اللاحنين فاللحن هو العدول عن الصواب وهذا معنى من معاني اللحن المذموم فقد روى أن أحد ولاة عمر رضي عنه كتب إليه كتاباً فلحن فيه فكتب إليه أن قنع كاتبك سوطاً .

---

(١) شرح المفصل لإبن يعيش ج ١٠ ص ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥ «بيروت مكتبة المثنى القاهرة» .

(٢) كنز العمال ٢٨٠٩ .

وكلنا يعرف قصة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع الاعرابي الذي قرأ ﴿ **ان الله برىء من المشركين ورسوله** ﴾ . سورة التوبة (٣) بكسر اللام في كلمة رسوله فلم يرض بهذا ، ونحى لأبي الأسود الدؤلى نحواً حتى يضع قواعداً للعربية للعصمة من الخطأ في القرآن الكريم وفي كلام العرب .

بل إن من المسلمين من عد اللحن في أية قراءة عربية ، ولو في غير القرآن ذنباً فقد روِى أنه قد عثر مرة لسان الحسن البصري بشىء من اللحن فتراجع وقال : أستغفر الله فسأله من سمع ذلك منه عن سبب الاستغفار فقال : من أخطأ في العربية فقد كذب على العرب ، ومن كذب فقد عمل سوءاً وقد قال عز وجل ﴿ **ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً** ﴾ النساء ١١٠

وسمع الخليل بن أحمد أيوب السختياني يحدث فلحن فقال : أستغفر الله «يعنى أنه عد اللحن ذنباً» .

وقال أبو سعيد السيرافي «ما عرفت حقيقة معنى النحو إلا من معنى اللحن الذي هو ضده فإن اللحن عدول عن طريق الصواب ، والنحو قصد إلى الصواب وكان مسلمة بن عبدالملك يقول : اللحن في الكلام أقبح من الجدري في الوجه ، وعبدالملك يقول : اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب النفيس حتى في زماننا الحاضر تلا الشاعر حافظ ابراهيم شعراً في مجلس الشيخ محمد محمود التركذي الشنقيطى فلحن في حركة العين من أحد الأفعال فغضب الشيخ الشنقيطي وقال كذبت(١) .

وهؤلاء هم أرباب العربية العارفون بها وبخباياها ودقائقها يقولون هذا ولكن لضعف علمنا بهذا وعدم درايتنا نأخذ هذا الأمر بسهولة ويسر وكأن شيئاً لم يكن تهاوناً في كلامنا ، عبثاً في تراثنا ، تضيعاً لقرآننا وهم يقولون ذلك في الكلام العادي فما بالنا لو أن أحداً أخطأ أمامهم ولحن في القرآن الكريم ، وقد قيل للحسن إن لنا إماماً يلحن فقال أخروه .

---

(١) الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم في باب اللحن ط دار المعارف .

فيدل ذلك على الحرص الكبير ، والحذر الشديد ، والعلم الجم الذي كانوا عليه من ناحية عدم خطئهم في القرآن الكريم ثم بعد ذلك نقول لا مانع من أن نقرأ القرآن بغير تجويد .

فما بالك لو علمت أن العربي لم يستطع أن يغير لغته إلى الخطأ ولو بالتمرين على الخطأ .

وكلنا يعرف قصة الرجل الذي كان يلقن فتاة صغيرة سورة المسد ويقول لها تبت يدا فتقول البنت تبت يدانى فيقول لها تبت يدا فتقول البنت تبت يدانى فمر الاصمعى على هذا الرجل وهو بهذه الحال فقال له : قُل لها تبت يدا أبى لهب فقال لها فقالت كما قال .

فدل ذلك على أن البنت لا تستطيع أن تنطق بالمضاف دون المضاف إليه ولو بالتمرين ، فمن هذا نعلم أن العرب تلقوا القرآن بلغتهم ولقوه كما تلقوه ولم يلحنوا فيه لأنهم لم يستطيعوا اللحن وأتى الينا هكذا .

فلو كان القرآن بالإسترسال السريع من غير أحكام التجويد فمن أين وجدت هذه الهيئة التي هو عليها الآن مع أن العرب لا تستطيع أن تغير لغتها ولو بالتمرين .

ويقول قائل : قد وقع اللحن من بعض الناس في عهد عمر كما قلت .

أقول له هذا شاذ والشاذ لا حكم له .

فإذا أخطأ واحد فهل يتركه الآخرون وهم الأغلبية العظمى وكلنا يعرف مدى إحتياطهم في نقل القرآن الكريم وسماعه وتلقينه وتعليمه وكيف واجه عمر هذا اللحن وكيف كان تحذير رسول الله ﷺ من اللحن ، بل إن حديث عمر رضي الله عنه مع هشام بن حكيم رضي الله عنه الآتي في الأدلة الحديثية يبين أنهم لم يتساهلوا في أي حرف أو كلمة في القرآن الكريم فانظره هناك وأحرص عليه .

فمن هذا كله نعلم أن للعرب لغتها ومن حرف شيئاً فيها ولم ينطق كما نطقوا بها لم يكن منهم ولم يعد تابعاً لهم ، بل هو أعجمي ولو كان من نسب عريق في

العربية لأنه لا يعرف لغة أهله ، لأن العربية اللسان .

فإذا كان هذا حال العرب ومنطقهم وتعبيرهم وإصطلاحهم والقرآن نزل بلغتهم وبلسان عربي مبين ، يدل ذلك على أن مادة القرآن من الحروف وغيرها معهم ولولا ذلك ما قال الله تعالى ﴿ **بلسان عربي مبين** ﴾ واللغة العربية فيها مخارج الحروف وصفاتها والإدغام والإخفاء والغن وغير ذلك من صفات الكلام العربي فلابد لنا أن نقرأ القرآن بهذه الأحكام التي انتقلت من اللغويين والنحويين إلى القراء الذين يعتنون بالقرآن الكريم ، وأخذت صبغة أخرى جعلت كل إنسان لا يعرف اللغة العربية أو لم يدرسها يظن أن هذا مما إبتدعته القراء ولكنه في الحقيقة من صميم اللغة العربية يا أهل العربية .

فدل ذلك على أن الذي يقرأ القرآن بغير الأوصاف التي ينطق بها اللسان العربي فإنه يلحن واللحن حرام وذنب عظيم خاصة في القرآن الكريم وهو يبدل بذلك كلام الله تعالى خاصة بعد الأمر الالهي العام ﴿ **ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ .
سورة المزمل (٤)

فوجب عليه أن يقرأ القرآن بالتجويد وهذا أول دليل على ذلك والله أعلم

الدليل الثاني : نزول القران بعدة قراءات :

قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٤٠ :

وكل القراءات كلام الله تعالى نزل به الروح الأمين على رسوله عليه السلام وذلك أنه كان يعارضه في كل من شهور رمضان بما اجتمع عنده من القرآن فيحدث الله إليه من ذلك ما يشاء وينسخ ما يشاء وييسر على عباده ما يشاء ، فكان من تيسيره أن أمره أن يقرأ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم لأنها كلها عربية فصيحة مبينة .

فالهذلى يقرأ «عنى حين» يريد «حتى حين» لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها .

والأسدي يقرأ تِعْلمون ، وتِعْلم ويِسْوَد وجوه ، وألم إعْهَدْ إليكم .

والتميمى يهمز والقرشي لا يهمز ، والآخر يقرأ «إذا قيل لهم» «وغيض الماء» بإشمام الضم مع الكسر .

«وهذه بضاعتنا ردت إلينا» بإشمام الكسر مع الضم «ومالك لا تأمنا» بإشمام الضم مع الإدغام .

وهذا لا يطوع به كل لسان ، ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه إعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لأشتد ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة ، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات الأصيلة ومتصرفاً في الحركات كتيسيره عليهم في الدين حين أجاز لهم على لسان رسوله ﷺ أن يأخذوا بإختلاف العلماء من صحابته في فرائضهم وأحكامهم وصلاتهم وصيامهم وزكاتهم وحجهم وطلاقهم وعتقهم وسائر أمور دينهم أ . هـ .

قلت : وهذا يدل على أنه لا يجوز أن نقرأ القرآن بغير هذه الأحرف ولا نلحن فيها فوجب أن نتعلمها كما هي كلٌ يتعلم القراءة التي تكون سهلة عليه ، ولا يقول قائل إن لساننا لا يطاوعنا أن ننطق بأي قراءة فكما سهل الله عليهم فهو يسهل علينا أيضاً بإن نقرأ القرآن بلساننا لأن القراءة صعبة علينا عسيرة .

أقول له : قد أكمل الله لنا الدين وأتم علينا النعمة ولا رسول بعد رسول الله ﷺ ، ولا ينزل جبريل بقرآن جديد ولا بحرف آخر ، ولا يعرض القرآن في شهر رمضان على أحد بعد رسول الله ﷺ ، وإنما يجب علينا أن نأخذ أي حرف من هذه الأحرف ونتعلمه بالصفة والهيئة التي تعلموها ولا نحيد عنها قدر أنمله حتى يدخلنا ربنا الجنان ونكون من التابعين لهم بإحسان ، وهذا هو الدليل الثاني لفرضية التجويد والله أعلم .

الدليل الثالث : كلام الله تعالى غير كلام البشر :

وبعد أن عرفنا أن علم التجويد يوجد في كلام العرب قبل القرآن والذي يعرف كلام العرب يتكلم به فما بالنا إذا جاء القرآن لينبه عليه ويأمر به ، لكن مع هذا فالقرآن يختلف عن كلام البشر مع أنه بلسان عربي مبين ، وليس كونه بلسان عربي مبين أن كلام الله تعالى مثل كلام البشر .

فهل الرجل العظيم العالم الفقيه مثل الرجل السفيه العيى الغبي مع أن الاثنين يشتركان في أصل الإنسانية ، فهذا كلام وهذا كلام وهذا إنسان وهذا إنسان لكن شتان بينهما شتان ، مع الفرق الشاسع بين المثلين ولكن ضرب للتقريب وكلنا يعلم أن الذي يعظم شأن القرآن فهو من باب تعظيم شعائر الله ودليل على تقوى القلوب .

وقد قال ابن تيمية في فتاويه الكبرى : وأما قراءة القرآن في الركوع والسجود فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : «**إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً وساجداً**» رواه مسلم من حديث علي وابن عباس رضي الله عنهم ، وذلك أن القرآن كلام الله فلا يتلى إلا في حال الارتفاع(١) أ . هـ .

وإذا كان القرآن لا يمسه إلا المطهرون ، ولا يقرأ في ركوع ولا سجود ولا يذهب به إلى أرض العدو ، ولا يدخل به في أماكن الخلاء ، ولا يوضع في مكان حقير ، ولا يقرأه أو يتذكره جنب أو حائض وإذا قرىء القرآن في وسط كلام عادي لعرف البليغ الفصيح إن هذا قرآن ، وغير الفصيح فرق بين الكلامين في العذوبة والإرتياح إليه ، وكما هو معروف أنه ليس كل ما يجوز عربية ينطق بها في القرآن الكريم وإذا كان القرآن نزل بهيئة معينة وتشكيل كلمات معين فلا نستطيع أن نغير حركة على كلمة بحجة أنه يجوز في العربية الوجهان كقولنا في «**بسم الله الرحمن الرحيم**» أنه يروى فيها تسعة أوجه يمتنع منها إثنان ويجوز سبعة أوجه قد جمعها

---

(١) الفتاوي الكبرى ج ١ ص ٢٢٠ .

بعضهم في قوله :

إن ينصب الرحمن أو يرتفعا   فالجر في الرحيم قطعاً منعا
وإن يجر فأجز في الثاني   ثلاثة الاوجه خذ بيان
فهذه تضمنت تسعاً منع   وجهان منها فادر هذا واستمع

نعم هناك من قوة غير المقروء ما لا يشك أحد من أهل هذه الصناعة في حسنه كأن يقرأ برفع الصفتين جميعاً على المدح في «**بسم الله الرحمن الرحيم**» ويجوز الرحمنَ الرحيمُ بنصب الأول ورفع الثاني كل ذلك على وجه المدح ، وغير ذلك كثير يجوز عربية ولكن لا يجوز قراءة لأنه لم ينزل بهذه الأوجه جميعاً إنما نزل بوجه معين والذي يجوز ذلك عامداً وهو يعرف إنه نزل بالجر مثلاً للصفتين وهو أجاز نصب الأول ورفع الثاني وقرأ بهما على أنه قرآن ، كفر بإجماع العلماء لأنه بدل كلام الله وهذا مما لا يختلف فيه إثنان ، فإذا كان الأمر كذلك ألا يفرق بينه وبين الكلام العادي في القراءة والتلاوة خاصة وقد جاءت الأوامر بهذه وكثرت الأدلة على ذلك فمن تعظيم القرآن ولأنه يختلف كلياً وجزئياً عن الكتب الأخرى في المعنى ونسق الألفاظ والآيات وغير ذلك مما هو مذكور في كتب إعجاز القرآن الكريم مع أنه بلسان عربي مبين لابد وأن يقرأ بالهيئة التي أنزله الله بها أما الذين يريدون أن يقرأوا القرآن كأي كتاب عادي ويقولون ليس هناك فرق بين قراءة هذا وقراءة هذا فعليه أن يفكر ألف مرة قبل أن يتكلم بهذا ويدع الله تعالى أن يهديه ويشرح صدره للحق ويتجرد لمعرفته فإذا لم يجد حياءاً من أن يجلس على يد شيخ عارف بالقراءة يلقنه القرآن ويعلمه آداب التلاوة ، وإذا لم يكن ممن يقولون لقد كبر سنى في العلم وشاب شعري في التنقيب عنه وأصبحت ممن يرحل إليهم في طلبه وأنا صاحب الأصول والفقه ، والرواية والدراية ، والتفسير والتأويل ، أجلس لأتعلم الغن والمد ومخارج الحروف وغير ذلك من هذا العلم الذي لم أعتن به حتى في مرحلة طلبى ، وإذا لم يكن ممن يعرف الحكم ويتكبر ، وإذا لم يكن ممن يتبع الهوى وتغلب عليه الشهوات ، وإذا لم يجد في قلبه شيء إلا أنه لم يعرف الحكم أو عرفه والراجح عنده غيره ويريد أن يعرف الحق حتى إذا ظهر له إتبعه

وبان له تمسك به ، وإذا لم يكن قادراً على تعلمه أقول لهذا الأخ الكريم إليك الدليل الرابع ليزداد يقينك ويرتاح قلبك بعد قراءة الأدلة السابقة .

الدليل الرابع : ترتيل الله للقران :

وهو قوله تعالى ﴿ **ورتلناه ترتيلا** ﴾ (الفرقان ٣٢) .

إن الله تبارك وتعالى قال في كتابه الكريم ﴿ **ورتلناه ترتيلا** ﴾ أي القرآن ، والقرآن كلام الله تعالى ومن قال بغير ذلك فقد ضل ضلالاً مبيناً وكلام الله صفة من صفاته ، وهذا الكلام المنزل له هيئة معينة نزل بها وشكل ظاهر تلقيناه هو الترتيل بما عرفناه وتلقيناه بالتواتر عن رسول الله ﷺ وما دامت هذه صفة أدائنا لكلام الله تعالى فلا أحد يستطيع أن يغير في هذه الصفة ، فلا يزيد حرفاً ولا ينقصه ، ولا يبدل هيئة ولا يحرفه ، بل إن القرآن جاء الينا وقرىء علينا كما تلقاه جبريل عليه السلام عن رب العزة والملكوت بهيئته التي هو عليها الآن ولم يكن لجبريل عليه السلام دور في التصرف في معنى من معانيه ، أو حرف من حروفه ، أو كلمة من كلامه أو هيئة من هيئاته أو صفة من صفاته أو لفظه أو معناه ، وكيف ومن الأشياء التي تفرق بين كلام الله تعالى وهو القرآن وبين الحديث القدسي هذا ، ثم أنزله على رسول الله ﷺ كما أخذه ولقاه تلقاه ، ولم يكن لرسول الله ﷺ دور في التصرف في أي شيء منه ولقاه كما تلقاه وعلمه كما تعلمه وفهمه كما تفهمه وكيف والذي يفرق بين القرآن وبين الحديث النبوي وهو السنة هذا .

ولو كان الله تعالى يجوز أن نقرأ القرآن بصفته أو بغير صفته أو بهيئة أو بغير هيئته التي نُـزل عليها ولو كان الأمر سيان ما كان هذا الإهتمام ، وما كان الله ليقول ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾ (الحاقة ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧) .

وهو رسول رب العالمين ، وما كان الله ليقول ﴿ **وإنك لتلقي القرآن من لدن حكيم عليم** ﴾ (النمل ٦) .

وما كان هذا التفريق بينه وبين الحديث القدسي وبينه وبين الحديث النبوي ، ولكتبه له وقال له إجعل أحداً ممن يقرأ ويكتب يقرأه عليك ولو كان الأمر كذلك لقال رسول الله ﷺ لكتاب الوحي أنشروا هذا بالكتابة فليقرأه من يعرف القراءة ١ ويوفر على نفسه الوقت في تلقينه وتعليمه من يعرف القراءة ، ومن لم يعرفها ولم يقل تعالى ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك** ﴾ (الشعراء ١٩٣) .

لأن الأمين لا يسمى أميناً إلا إذا أدى الأمانة كما هي ، ولو نقص أو زاد لم يكن أميناً لأن هذا مقام تؤثر فيه الزيادة والنقصان وما كان الله ليقول ﴿ **لا يأتيه الباطل** من بين يديه **ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ (فصلت ٤٢) ولأن أمر نزول القرآن باللفظ والمعنى والهيئة والصفة من عند الله تعالى ، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء ونبه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في المجلد الخامس والعشرين من فتاويه الكبرى .

وكما قال تعالى حكاية عن الكافرين ﴿ **إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** ﴾ فلم يكن شيء من القرآن بهذه الآيات جميعاً من تعليم أحد غير الله تبارك وتعالى ، ثم هنا شيء يجب أن نعلمه هو أن القرآن الكريم يؤخذ بالتلقى والمشافهة من فم العارفين كما قال عبدالله بن مسعود إنما نقرأ كما علمنا والحديث المعروف والمشهور الذي يروى قصة عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم رضي الله عنهم جميعاً عندما قال له عمر من أقرأك هذا ، وقال عمر فقرأت كما أقرأني رسول الله ﷺ فيدل ذلك على أن القرآن بالتعلم كما سنوضحه في الأدلة الحديثية السنه إن شاء الله تعالى فقد تلقاه سيدنا جبريل عليه السلام ولقاه لرسول ﷺ ولقاه رسول الله ﷺ للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والصحابة للتابعين ، والتابعون لمن بعدهم خاصة وأن القرآن كان مضبوطاً في الصدور وليس فى الاوراق والسطور إلى أن وصل إلينا كما هو على أيام رسول الله ﷺ ، وقد حذر العلماء كلهم من أخذ المصحف من مصحفيٍّ والعلم من صحفيٍّ ، وقد قال بعضهم :

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة   يكن عن الزيغ والتحريف في حرم

ومن يكن آخذاً للعلم من صحف　　فعلمه عند أهل العلم كالعدم

ولعل الأمر يتضح أكثر عندما تعرف الترتيل في المعاجم والقواميس وجل كتب اللغة الموجودة التي إطلعنا عليها فنقول :

ففي معجم متن اللغة ج ١ ص ٣٥ قال : رتل الكلام : أحسن تأليفه وأبانه وتمهل فيه ، وترتل في قراءته ترسل فيها وبين حروفها ووفاها حقها من الإشباع ، قال الراغب : الترتيل إرسال الكلمة من الفم بسهولة وإستقامة أ. هـ .

قلت : أنظر إلى ترسل فيها وبين حروفها ووفاها حقها من الإشباع وقارن بينه وبين تعريف التجويد عند القراء تجده هو هو لأن التجويد هو إخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه ولا يكون تبين الحرف إلا إذا خرج من مخرجه صحيحاً وكلمة ووفاها حقها أي من الصفات اللازمة والعرضية فتنبه لهذا وأحرص عليه .

ثم أنظر في لسان العرب ج١١ ص ٢٦٥ :

تجده يقول : ورتل القرآن ترتيلا .

قال أبو العباس : ما أعلم الترتيل إلا التحقيق والتبيين والتمكن أراد في قراءة القرآن .

وقال مجاهد : الترتيل : الترسل ، قال ورتلناه ترتيلاً بعضه على أثر بعض .

وقال ابن عباس في قوله ورتل القرآن ترتيلاً قال : بينه تبيناً .

وقال أبو إسحاق : والتبيين لا يتم بأن يعجل في القراءة وإنما يتم التبيين بأن يبين جميع الحروف ويوفيها حقها من الإشباع أ. هـ .

ولقد قال في تاج العروس من جواهر القاموس ج٧ ص٣٣٥ :

رتل الكلام ترتيلا أحسن تأليفه أو بينه تبيناً بغير بغى قال الراغب : الترتيل أرسل الكلمة من الضم بسهولة واستقامة قال صاحب تاج العروس : هذا هو

المعنى اللغوي ، وعرفاً هو رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف وخفض الصوت والتحزن بالقراءة ، كما حققه المناوى في العباب أ . هـ .

قلت : أنظر إلى تعريف الترتيل في تاج العروس ولسان العرب وفي معجم متن اللغة تجده يطابق تعريف التجويد عند القراء فلا فرق ، وكذلك في جميع كتب اللغة مثل الصحاح والمنجد ، والمصباح المنير والمفردات فليس معنى الترتيل التمهل والتؤده فقط بل هو معرفة مخارج الحروف وتبيين الحروف ومعرفة الوقوف كما روى في الأثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الترتيل فقال هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف كما رواه ابن الجزري في نشره ، ومع هذا فقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوافق قول اللغة تماماً ونفرض فرضاً جدلياً بحتاً أن الترتيل معناه الحسن والتؤده والتمهل فلا يكون الشيء حسناً إلا إذا أخذ حقه ومستحقه وإلا فأين الحسن والتؤده ، والتمهل يقتضي إتقان الحروف وإخراجها من مخارجها الصحيحة بحيث لا يطغى حرف على أخيه وتنطق بالإدغام والإخفاء وغيره بتؤده وتمهل وحسن وبذلك يتضح لنا من لغتنا أنه لا يجوز أن يعترض أحد من الناس ، ويقول إن الترتيل معناه الحسن والتؤده والتمهل وهذه الاشياء لا تقتضى التجويد ، نقول له فما معنى التؤده والتمهل والحسن عندك بعد أن عرفناها عند العرب ؟ وهل نتبع العرب في لغتهم أم نتبعك أنت ؟

ومما لا شك فيه أننا نتبع العرب لأن القرآن نزل بلغتهم فدل ذلك على وجوب التجويد .

الدليل الخامس : الأمر بالترتيل :

وهو قوله تعالى ﴿ **ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ (المزمل ٤) .

والترتيل هو التجويد كما قاله أصحاب معاجم اللغة والعرب الفصحاء والبلغاء ، وعرفوه ، وهنا عدة مسائل :

الأولى : الأمر يقتضى الوجوب إن لم تصرفه قرينه .

الثانية : الأمر بالشيء نهى عن ضده .

الثالثة : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

الرابعة : درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة .

أولا : المسألة الأولى : وهي الأمر يقتضي الوجوب إن لم تصرفه قرينه عن ذلك كما قال جمهور الاصوليين وهو الحق ، فإن كان الفريق القائل بالإستحباب يقول إن الأمر بالشىء لا يقتضى الوجوب وإنما يقتضى الندب فهذا مجال آخر ، ونقول له لا نتكلم معك في وجوب التجويد ، ولكن نتكلم معك في إقتضاء الأمر للوجوب فإن سلمت بهذا نقول لك فهذا أمر والأمر للوجوب فالتجويد واجب ولا يسعك إلا التسليم ولا مجال هنا لمناقشة الأمر للوجوب أم للندب ، فالراجح والأظهر عند الجمهور أنه للوجوب ، ومن باب الاحتياط في الدين فإن الانسان لابد له أن يسد الأبواب التي من الامكان أن يأتي منها تعبه ونصبه والإحتياط في الدين مشهور عن العلماء الإجلاء والأئمة الاعلام فإن لم يتبع الجمهور فمن باب الإحتياط لدينه .

ثم **المسألة الثانية** : أمر الله تعالى نبيه بالترتيل ، والمراد بهذا الأمر ليس النبي ﷺ فقط وإنما أمته كذلك والأمر بالشيء يعنى أنه لا يفعل نقيض هذا الشيء ، فعندما أقل لك تحرك معناه لا تسكن وعندما أقل لك صه معناه لا تتكلم فقد أمرنا سبحانه بالترتيل الذي هو التجويد معناه أن لا تقرأ القرآن بغير تجويد .

المسألة الثالثة : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

إعلم أخي الفاضل أنه لا يحفظ معنى القرآن إلا إذا حفظ مبناه ولا تحفظ أحكامه إلا إذا حفظ كلامه ، ولا يتعبد به إلا إذا قرىء بلفظه وحروفه التي كانت على أيام رسول الله ﷺ فمن ذلك جاء أيضاً وجوب

التجويد لأن الذي يفرط في مخارج الحروف وصفاتها وهيئاتها وأحوالها يفرط في معنى القرآن الكريم ، فإذا أخرج القاف من أسفل اللسان من أقصاه قلبت كافاً فبدلاً من أن تقول ﴿ **إن في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد** ﴾سورة ق (٣٧) نقول عندما تقلب القاف كافاً بدلاً من قلب نقول كلب وهذا أمر جد خطير ، وإذا لم يخرج لسانه في الثاء قلبت سيناً وإذا لم يعطى الضاد صفة الاستطالة والرخاوه قلبت دالاً مفخمة فبدلاً من أن تقول ولا الضالين تقول ولا الدالين شيء خطير ، وإذا لم يعط الجيم صفة الشدة قلبت شيناً وهكذا ، وكذلك . فالذي يقرأ «وبشر الذين آمنوا» ويشبع حركة الراء أكثر من اللازم وهي الكسرة يأتي بياء فيقلب المعنى قلباً قبيحاً لو إعتقده كفر ، لأنه بذلك جعل رسول الله ﷺ أنثى ويقال لها ﴿ **وبشرى الذين آمنوا** ﴾ وهذا لأنه لم يراع متى يكون المد ومتى لا يكون ، ولأنه لم يراع أحكام التجويد من عدم إشباع الكسرة إشباعاً يأتي بحرف فيخل به المعنى ، ثم يقرأ أيضاً ﴿ **فترى الذين في قلوبهم مرض** ﴾سورة المائدة (٥٢) فهي من الرؤية في الآية فيجعلها من الفتور ، ولا يشبع حركة التاء إشباعاً حقيقياً ليخلصها من الفاء فيقول فترى من الفتور وهذا لم يغير حرفاً ولا حركة إلا أنه لم يشبع الفتحة ومع ذلك تغير المعنى وأصبح لحناً جلياً ، وكذلك لا يشبع حركة العين المفتوحة في كلمة وعسى فيقولها وكأن عليها سكون لا فتحة فيقول وعسى مثل دَعسى وكذلك تحويل فعل الأمر فعل ماضي في قوله تعالى ﴿ **وذروا البيع** ﴾سورة الجمعة (٩) عندما يقول وذروا فكأن على الذال سكون وكذلك ، عندما يشبع الحركة في الكلمات الآتية فيأتي بواوات وياءات لم تكن في الكلمة مثلما يقول إن كونتم مؤمنين ، ويقول إيهدنا الصراط ، ويقول : ويقولوا أهلكت مالاً لبدا ، ونطقها الصحيح هو ويقول أهلكت مالاً لبدا ولعلنا بإذن الفتاح العليم نخص الأخطاء الشائعة في قراءة القرآن بمؤلف خاص إذا أراد الكريم المنان الوهاب فتعلم التجويد ألم يكن حافظاً للقرآن من التبديل والتحريف

والتغيير ، أبعد هذا نقول إنه مستحب ، وهذا قطرة من بحر ، وغيض من فيض ، وشربة من منهل ، وقليل من كثير ، ولو أراد الانسان أن يسرد كثيراً من الأخطاء مثل هذه الشناعة والتبديل والتحريف لسرد ، ولكن المقام ضيق والاوراق لا تتسع ، ولا يسمح لنا المختصر ، ومن ذلك نفهم أن الحفاظ على القرآن واجب ولا يمكن أن نحفظه إلا إذا جودنا لفظه وحفظنا مبناه ، فبذلك يكون التجويد

المسألة الرابعة :

درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة وكذلك نخاطب إخواننا الأحباب القائلين بالإستحباب بهذه القاعدة المشهورة لدى العلماء والطلبة وحتى العامة فهذه القاعدة مبنية عليها فروع الشريعة كلها كما قال العز بن عبدالسلام في كتابه قواعد الأحكام .

وقبل أن أتكلم فيها أريد من إخواننا الذين يفتون الناس بالاستحباب أن يتفقدوا أحوال الناس في القراءة بعد الفتوى هذه ، والذي نفسي بيده أنهم سيرجعون عن فتواهم في الحال ، ويبالغون في التشديد والوجوب ، لما يرونه من تحريف كتاب الله تعالى وتغيير معانيه ، وعدم إقامتها أدنى إقامة .

ونقول : درء مفسدة تحريف كتاب الله خير من مصلحة الوقت الذي سيعود عليك لو لم تتعلم كتاب الله فمن الناس من يقول بدلاً من أن أجلس أمام شيخ يتهوع(١) بالحروف وأجلس لأتهوع مثله ، وأمد وأغن وغير ذلك ، ويضيع الوقت في ذلك ضياعاً مبرماً فبدلاً من هذا ، أقرأ كتاباً في أصول الفقه ، أو الفقه أو الحديث أو غير ذلك استفيد منه ، وحق عليه إنه لابد له من إقامة حروف القرآن حتى يفهم الفقه والأصول والحديث والمصطلح وبقية الفنون ، فالعلوم جميعها لهذا الكتاب خادمة ، وبدونه ليس لها أى فائدة فلو فعل ذلك لاستجلاب بعض الوقت والقرآن يحرف نقول له : لا عملاً بهذه القاعدة .

ويقول قائل : أتقول القاعدة ولا تقول قرآناً ولا سنة ؟

---

(١) التهوع : التقيؤ ص ٧٠٢ مختار الصحاح ط مؤسسة الرسالة .

أقول : قد بنيت كثيراً من الآيات ومازلت أبين وسأبين الأدلة الحديثية بإذن رب البريه ، وأقول لك أخي الكريم إن هذه القاعدة وغيرها علم أخذ واستنبط من الآيات والأحاديث وأقروا ذلك العلماء ووضعوا علم الأصول وعلم القواعد الفقهية وغيره من العلوم فلا سبيل لإعتراضك وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى .

فائدة :

كثير من قراء القرآن ومعلميه يتكلف في التعليم ويصعب على الناس بما يظن المتعلم أنه لا يستطيع أحد أن يتعلم إلا إذا أنفق عمره ، وأخذ عمر صاحبه الذي بجواره حتى يقرأ القرآن قراءة صحيحة .

وأقول رحم الله السخاوي حيثما قال :

لا تحسب التجويد مداً مفرطاً   أو مد مالاً مد فيه لوان
أو أن تشدد بعد مد همزة   أو أن تلوك الحرف كالسكران
أو أن تفوه بكلمة متهوعاً   فيفر سامعها من الغثيان
للحرف ميزان فلا تك طاغياً   فيه ولا تك مخسر الميزان

ورحم الله بن الجزرى حيث قال :

مكملاً من غير ما تكلف   في اللفظ بالنطق بلا تعسف

فلابد أن يعلم إقامة الحروف والنطق بها بسهولة ويسر وعدم مشقة وتكلف ، ولعلنا نضع مؤلفاً خاصاً في كيفية تعلم القرآن وتعليمه وتقسيم ذلك إلى مراحل تكون سهلة للمعلم والمتعلم بإذن العلى القدير الوهاب العليم .

تتمة :

يقول بعض الناس إنني ليس في إستطاعتى أن أتعلم فإن كان فعلاً ليس في إستطاعته أن يتعلم كأن كان أبكم لا يتكلم أو أصم لا يسمع ما يلقى عليه ، أو أبله لا يعقل أو مصروعاً في جميع أحواله ، أو مريضاً مرضاً لا يستطيع أن يبذل

معه مجهوداً لكى يتعلم ، أو فيه علة تحرمه من التعلم ، نقول له قد قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ . سورة البقرة (٢٨٦)

فهذا معلوم من ألِ الشريعة لأن جهاز الأداء عنده فيه عطب لا يصلح أن يؤدي التكليف كما ينبغي فنقول له إن المشقة تجلب التيسير ، فالصلاة مثلاً تؤدى عن قيام فإذا عجز المصلى أن يقوم فله أن يجلس فإذا عجز أن يجلس صلى مضطجعاً وهكذا تيسير من الله الرحمن الرحيم ، وكذلك الصائم في رمضان فرض عليه الصيام ولكنه مسافر أو مريض فجهاز أدائه أصابه نوع ما من الخلل ولم يكن على الهيئة المطلوبة لهذا التكليف ، ولهذا قال تعالى ﴿ **لا تكلف نفس إلا وسعها** ﴾ فكذلك التجويد إذا لم يكن هناك مقدرة بحق على التعلم ، فقد رخص الله له ذلك ويسر عليه ، ولهذا نقول إن الدين يسر ولكن لا يحكم الانسان على نفسه بأنه لا يستطيع فنفس الإنسان تميل إلى التكاسل ، فليحكم عليه شيخه الذي يذهب إليه ليتعلم هذا العلم لأنه أعرف منه بهذا والله تعالى أعلى وأعلم .

الدليل السادس : قراءة القرآن على مكث

قراءة القرآن على مكث وهو قوله تعالى ﴿ **وقرآناً فرقنا لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً** ﴾ «الاسراء ١٠٦» .

إن القرآن الكريم لم ينزل ليقرأ على المقابر وفي السرادقات بل نزل ليقرأ في أماكن لائقة به ، ولم ينزل هذرمة(١) بغير تدبر ولا تعقل ولا فهم ولا تمعن ، وإنما نزل ليدبروا آياته ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن** ﴾ «محمد ٢٤» فهو شريعة الله وهو حياة المسلم الذي فيه كل شيء يتعلق به ، ولا يصلح التدبر في المعنى إلا إذا أكتمل المبنى ، فإذا لم يقرأ القرآن الكريم بألفاظه واضحة مبينة كما كانت قراءة رسول الله ﷺ على مكث وكانت حرفاً حرفاً ومداً مداً ، وغير ذلك لم يفهم قصد القرآن ، ويجعل كتاب الله كترانيم النصارى ومزامير اليهود ، لا يفهم منها شيء ، فلذلك قال تعالى ﴿ **وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً** ﴾ والغرض

---

(١) الهذرمة : السرعة في القراءة والكلام يقال هذرم ورده أى هذّه من مختار الصحاح ص ٦٩٣ مؤسسة الرسالة .

من القراءة هو فهم ما فيه والعمل به ولا يفهموا ما فيه إلا إذا كملت مبانيه من غير لحن ولا تبديل ولا تحريف فدل ذلك على وجوب التجويد والله أعلم .

الدليل السابع : عدم تبديل القران :

وهـو قوله تعالى ﴿ **وإذا قلنا لهم أدخلوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم رغداً ، وأدخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر خطايكم وسنزيد المحسنين ، فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون** ﴾ «البقرة ٥٨، ٥٩» .

وقوله تعالى ﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾ . (النساء ٤٦) .

بنوا إسرائيل عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . لم يطيعوا أمر الله تعالى فبدلوا كلامه ، وحرفوا الكلم عن مواضعه ، فماذا كان جزاؤهم ، لم يغيروا شيئاً إلا حرفاً واحداً قال لهم الله تعالى : قولوا حطة فقالوا حنطة أو حبه كما في الروايات الصحيحة .

فسمى الله تعالى ذلك تبديلاً لكلامه ، وعصياناً لأمره ، وتحريفاً لمراده ، وعدم إنصياع لجبروته ، فسماهم ظلمة وأنزل عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون .

وهؤلاء هنا زادوا حرفاً في كلمة أو أبدلوا حرفاً مكان آخر فما بال القراء للقرآن الآن يغيرون ويبدلون ويحرفون فيرفعون المنصوب ، ويجرون المرفوع ، ويبدلون حروفاً بأُخرى والأمثلة كثيرة على ذلك ، فمنهم من يقول عما يتساءلون ومنهم من يقول مما خلق إلى غير ذلك فبنوا إسرائيل أنزل الله عليهم رجزاً لتبديلهم حرفاً في كلمة فما بالنا إذا أردت أن تصحح لهذا المخطىء قال لك إن التجويد لم يكن فرضاً حسباناً منه بأنه يتعلم فاضلاً ولم يكن في حسبانه أن الذين يفتون بالإستحباب لو سمعوه لأوجعوه ضرباً ، لتبديله وتحريفه لكلام الله تعالى والذي يجعلنا في مأمن من هذا هو علم دراية الالفاظ ومخارجها وضبط صفاتها ووزنها بمقاديرها المسمى

بعلم التجـويد وحتى لا نُقـع فيما وقع فيه بنو إسرائيل نقول بفرضية التجويد إستدلالاً من ذلك وخوفاً من هنالك والله أعلى وأعلم .

الدليل الثامن : النهى عن العجلة بالقران :

وهو قوله تعالى ﴿ **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما** ﴾ «طه ٤» .

وقوله تعالى ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآناه فاتبع قرآنه** ﴾ «القيامة ١٦، ١٧، ١٨» .

الله تعالى يقول لنبيه ﷺ هذا ، لماذا ؟

حتى يعرفه رسول الله ﷺ أتم المعرفة ويتثبت منه أفضل تثبت ولا يضيع منه حرفاً ولا تعزب عنه حركة ولا يخفى منه ظاهراً ، ولا يظهر ما حِقه الإدغام . فهذه تنبيهات إلهية للرسول ﷺ المبلغ المعصوم على أنه يتمهل ليتثبت ، فإذا كان هذا رسول الله ﷺ الذي علمه الله تعالى فما بال أمثالنا لماذا لا نرضى بتأديب الله تعالى لنا بما أدب به رسوله ﷺ ، ألا نتنبه لذلك حتى لا نكون كبني إسرائيل ، ألا نكون بالتنبيه أجدر ، ونكون بسماع الأمر أحرى ، وبالامتثال أليق ، ثم عندما يسأل أنس رضي الله عنه عن قراءته ﷺ يقول «كان يمدها مداً» ، رواه البخاري .

أليس هذا تأثير التنبيه الذي كان له من ربه جل وعلا فالأمة يجب عليها أن تطبق هذا الأمر وتتبعه كما طبقه وأتبعه رسولها الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم والله أعلم .

الدليل التاسع : حق التلاوة :

وهو قوله تعالى ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به** ﴾ «البقرة ١٢١» .

لما ذم الله بنى إسرائيل وسماهم ظلمة ، وأنزل عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ، ولأنهم بدلوا كلامه ، أثنى الله على عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه حق التلاوة ، عدل مطلق ، فضل عميم من رب العالمين وسواء كان معنى التلاوة هنا الاتباع أو القراءة ففيها مدح لمن يجود القرآن وحث عليه كيف هذا ؟

أولاً : على معنى الاتباع :

الله تعالى قد أنزل في كتابه ورتل القرآن ترتيلاً والآيات السابقة جميعها التى تحث على قراءة القرآن بالتجويد فهذا في القرآن هو من جملة الاتباع الذي يتبعوه الذين يتلونه حق التلاوة أي يتبعونه حق الاتباع أي لا يتركون شيئاً فيه إلا يتحروا أن ينفذوه ولا ينتهون عن شيء إلا وهم يجتنبوه فالتجويد داخل لا محاله ولو فسرنا التلاوة هنا بالاتباع لأنه يشمله .

ثانياً : على معنى القراءة :

ولو فسرنا التلاوة بالقراءة كما فسرها ابن مسعود بإنه حق القراءة ، ومعرفة الحلال والحرام كما ذكر السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور في تفسير هذه الآية فالمعنى ظاهر ولا يحتاج إلى تعليق ، فكلا المعنيين الدلالة فيهما واضحة والشهادة فيهما ظاهرة والله أعلم .

الدليل العاشر : التحدي والمثلية :

وهو قوله تعالى ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وأدعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فأتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين** ﴾ (البقرة ٢٣ ، ٢٤) .

ومعنى أن يأتوا بسورة من مثله أي من كل شيء موضوعه ، معناه ، لفظه ، هيئته ، صفته ، وغير ذلك من الأشياء التي أتصف بها القرآن الكريم ، وأتصفت بها أي سورة وحتى وإن أتوا بمعظم الأشياء ولم يأتوا بأشياء فيه أخرى لم يسموا أنهم أتوا بمثله لأن المثلية إذا أطلقت تقتضي المطابقة والمشابهة التامة ، وفي القرآن التجويد في حروفه وقراءته بالتلاوة ولم نقصد أنهم يأتوا بقواعد التجويد ويضعوها

في كلام ما ، لا ، فقواعد التجويد عندهم والقرآن نزل بلغتهم ولكن أقول كيفية تأليف الكلمات بما فيها من حروف معينة لها مخارج معينه مع الإدغام في كلمتين مع الإخفاء في كلمة مع الإظهار في أخرى مع المد وغير ذلك في آية واحدة ، وإلا فالمد عندهم ولكن المهم النظم المعجز ، فكما أنه تعالى تحداهم أن يأتوا بمثله في المعاني كذلك تحداهم بالمباني والهيئات فدل ذلك على أن التجويد فرض عين ، والله تعالى أعلى وأعلم .

الدليل الحادي عشر : الخفة في القراءة والثقل فيها :

لولا أحكام التجويد لكانت قراءة القرآن ثقيلة لا يستطيع أحد أن ينطق بالقرآن ويتلذذ به مثال ذلك قوله تعالى في سورة هود آية ٤٨ .

﴿ قيل يا نوح أهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم ستتمعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم ﴾ .

أريد من القارىء الكريم أن يقرأ هذه الآية من غير تجويد ثم يقراءها بعد ذلك مجودة بالأحكام المعروفة وحبذا لو سجل صوته بها ليرى الفرق العجيب بين النطقين ومشى على ذلك في جميع آيات القرآن الكريم .

فالثقل في النطق كانت العرب تهرب منه فما بالنا في القرآن الكريم ، ففي قراءة القرآن ترى أنك لابد أن تدغم في مواضع الإدغام وتخفي في مواضع الاخفاء وتغن في مواضع الغن ، وتظهر في مواضع الإظهار وإلا كان الكلام ثقيلاً كالجبل .

فتأليف الكلمات ونسقها مع بعضها مع أحكام التجويد من قلقلة وإدغام وإظهار وغيره في هذه الآية مع وجود الميمات الكثيرة كما ترى وهي أكثر آية في القرآن فيها حرف الميم إلا أن لها وقع مؤثر جداً على الإذن من جمال التأليف وإحكام الإحكام ، ودقة إختيار الحروف مع العلم بقرب وبعد مخارجها إعجاز إلهي ، كلام ربانيّ ، تبليغ نبويّ ألا يدل ذلك أخي الكريم على فرضية تجويد القرآن الكريم ؟ والله أعلم .

الدليل الثاني عشر : حفظ الله للقران بالتجويد :

وهو قوله تعالى ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ «الحجر آية ٩» .

وقوله تعالى ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ .

إذا كان الله تعالى سمى زيادة حرف في كلمة تبديلاً ، فقراءة القرآن بالتجويد فيها أكثر من ذلك ، فلو لم تكن في القرآن ، ولم يقرأ بها رسول الله ﷺ فأين الحفظ الذي تكفل الله به لكتابه ، وأدنى تغير يعتبر تصحيفاً وتبديلاً وتحريفاً ، وهذا التغير وإن كان يسيراً إلا أنه يؤثر في كمال الحفظ ، وكمال الحفظ يتوقف على كمال الحافظ ، والحافظ هو الله تعالى القوي الجبار ، العزيز القهار ، والقرآن كلامه فحاشا لله أن يترك من يعبث بكلامه أدنى عبث ، حتى ولو وجد بقيد الله تعالى من يزيله ويكون سبباً في نسفه جعلنا الله منهم فلا يبقى شيء منه ، ولكن التجويد له أربعة عشر قرناً للآن فمن قال بالاستحباب فقد ضيع معنى الحفظ ويكون بذلك قد نفى وعد الله وجعله ليس حافظاً لكتابه وتلاوة كتابه وحاشا لإخواننا الأفاضل أن يقعوا في مثل هذا ، ونحن نظن بهم خيراً فهم لم يصل إليهم الدليل وها قد وصل .

فاللهم أجعل هذه الرسالة مقبولة عندك وأجعلها في ميزان حسناتي وتكفيراً عن سيئاتي وأجعلها نافعة أينما كانت وأنفع بها من قرأها وحملها وعمل على نشرها إنك على كل شيء قدير .

ثانياً : الأدلة من السنة المطهرة «الادلة الحديثية» :

كما نعلم أن السنة هي المصدر الثاني للتشريع ، وهي مفسرة للقرآن ، وموضحة له ومبينة ، فكما بينا الدليل على فرضية التجويد بالقرآن الكريم الذي هو المصدر الأول للتشريع ، والذي جعلنا نتطرق إلى اللغة العربية ، ونثبت وجود التجويد فيها كما هو معلوم ، وكما وضحناه .

نبين الآن فرضية التجويد وعينيته بالسنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

فنقول : لقد قال رسول الله ﷺ «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» رواه البخاري .

أي من جاء بشيء في الدين لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ولا صحابته ، ولم يكن له أصل في قرآن ولا سنة ، أي إبتدع في الدين شيئاً جديداً مخالفاً لما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه فهو مردود عليه بالخسران والوبال ولينتظر عقاب الجبار .

ولقد قال رسول الله ﷺ «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعدة من النار**» رواه البخاري .

فما بالنا بمن يحرف القرآن الكريم وهو مصدر التشريع الأول ، وجميع المصادر تبعـاً له ، ورسول الله ﷺ كان يعلم أصحابه رضوان الله عليهم قراءة القرآن الكريم ، مع أنهم أصحاب السليقة العربية ، والقرآن نزل بلغتهم ، ولقد قال النبي ﷺ «**إنما العلم بالتعلم**» رواه البخاري .

ودل على تعلم قراءة القرآن أيضاً الحديث الذي رواه البخاري وأبو داود عن ابن مسعود رضيى الله عنه أنه قرأ هيتُ لك «**بل عجبتُ ويسخرون**» .

وقال إنما نقرأ كما علمنا .

قال ابن الجـوزي : وفي عجبت قراءتان ، قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر بل عجبت بفتح التاء ، وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وأبو عبدالرحمن السلمي وعكرمة وقتادة والنخعي وطلحة والاعمش وابن أبي ليلى وحمـزه والكسـائي وآخرون «**بل عجبتُ** بضم التاء» فمن فتح أراد **بل عجبتَ** يا محمـد ويسخرون هم ، قال ابن السائب : أنت تعجب منهم وهم يسخرون منك ومن ضم أراد الأخبار عن الله تعالى أنه عجب أهـ(١) .

---

(١) شرح السنة للبغوي ج ١ ص ٢٦٢ .

فدل ذلك على أن القرآن لا يقرأ إلا بالتعلم ، ومن الأحاديث الدالة أيضاً على هذا ، الحديث الذي أخرجه الستة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : **«سمعت هشام ابن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أن أساوره في الصلاة ، فتربصت به حتى سلم ، فلببته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة ؟ قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت : كذبت ، إن رسول الله ﷺ أقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم تقرئنيها فقال : أرسله إقرأ يا هشام فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت ثم قال : إقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقراني فقال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت ، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقراؤا ما تيسر منه»** .

فدل ذلك على تعلم القرآن ولو كان الذي يتعلمه عمر بن الخطاب الفصيح البليغ الذي نزل القرآن بلغة قومه ، ومن ذلك نعلم أيضاً أن القرآن مع أنه بلسان عربي مبين إلا أن قراءته لها هيئة معينة وصفة محددة لابد أن يقرأ بها ، لذلك قال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت ، وإلا فما أقرأ رسول الله ﷺ القرآن لهؤلاء الفصحاء البلغاء الذين أمنوا من اللحن في لغتهم ، وما قال : هكذا أنزلت .

فالقرآن مكون من مائة وأربعة عشر سورة تحتوي على آيات كثيرة ، فعادة المعلم إذا علم أحداً يعلمه جزءاً حتى إذا عرف سهل عليه الباقي ليقرأه بمفرده خاصة وأنه صاحب هذه اللغة وجهبذ من جهابذتها ، ويكون هذا آكداً إذا كان المعلم واحداً في بادىء الأمر ، لكن القرآن يختلف ، فلا يجوز لأحد أن يقرأ شيئاً منه إلا بعد تلقيه وتعلمه ، ولو كانت الصحابة رضوان الله عليهم ، فلابد من إقراء النبي ﷺ لهم أو إرسال من قرأ على النبي ﷺ ليعلم الناس ، فالأصل التلقي والمشافهة ، والأحاديث كلها تدل على ذلك .

وقد يقول قائل : إن النبي ﷺ كان يقرئهم القرآن لأنه نزل بعدة أحرف ومن الممكن أن أحداً منهم لا يعرف هذا الحرف الذي سيقرأ به .

قلت : لو كان ذلك كذلك ما أنكر عمر بن الخطاب على هشام بن حكيم وقال له : كذبت ، وما قال: فقرأت القراءة التي أقرأني .

فقد تلقى بلغته التي يعرفها تمام المعرفة ، وما كان لابن مسعود أن يقول : إنما نقرأ كما علمنا أي لا يقرأ حتى بالحرف الآخر إلا إذا تعلمه وتلقاه من بابه ، وكذلك الحديث الذي رواه مسلم عن أبي سلام عن أبي امامة قال : قال رسول الله ﷺ **«تعلموا القرآن فإنه شافع لأصحابه يوم القيامة ، وتعلموا البقرة وآل عمران ، تعلموا الزهراوين فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما ، وتعلموا البقرة ، فإن تعلمها بركة ، وتركها حسرة ولا يطيقها البطلة»** .

وهناك أحاديث كثيرة تدل على ذلك لم تتسع الأوراق لها لأنني أختصر بقدر الأمكان إذا علمنا ذلك فنقول : ما الدليل على أن النبي ﷺ كان يقرأ القرآن بالقراءة المجودة ؟

أقول هنا أدلة كثيرة :

الأول منها : التواتر :

هل القرآن وصل إلينا عن طريق الآحاد ، مع أن رواية الآحاد مختلف في الاستدلال بها والذي يستدل بها في الفروع يتخوف من الاستدلال بها في الاعتقاد(١)، فهل القرآن جاء إلينا عن طريق الآحاد ، أم وصل إلينا عن طريق جمع كثير عن جمع كثير عن جمع كثير تحيل العادة تواطئوهم على الكذب بصرف النظر عن أعدادهم التي بلغت في القرآن الكريم أكثر مما حدده جميع المحدثين والاصوليين والمجتهدين وهذا الجمع عن الجمع عن الجمع وعدم وقوع الكذب منهم هو ما سمي بالتواتر فإذا كان ذلك كذلك ، وقد ثبت تواتر كثير من الأحاديث ، وأجتمع المحدثون على بعضها بإتفاق تام ، فلماذا نثبت التواتر في الأحاديث ولا نثبته في القرآن الكريم مع أنه يرد التواتر في الأحاديث باللفظ وهيئته التي قالها رسول الله ﷺ ويروى كما قيل فلماذا نستبعد ذلك في القرآن ، ثم

---

(١) وإن كنت ممن يستدل به بشروطه .

الاثبات في القرآن على ضربين :

الأول : إثبات وجود القرآن بلفظه ومعناه .

الثاني : إثباته بالشكل والصفة والهيئة التي عليها القراءة .

فمن لم يثبت الأول فيقول : إن القرآن لم يثبت بالتواتر وجوده ، فهذا بعيد كل البعد عن كلامنا ، وعليه أن يراجع إيهانه لأنه يشكك في القرآن الكريم .

أما الذين يقولون : هو قطعى الثبوت وصل إلينا بالتواتر ، وهذا ما عليه الأمة وأهل السنة والجماعة ، فلماذا يثبت وجوده بلفظه ومعناه وينكر هيئته وصفته إذ لا تنفك معرفة اللفظ عن هيئته التي قيل بها ألبته ، فاللفظ والهيئة متلازمان تلازماً تاماً ، ومعلوم أن القرآن كان محفوظاً في صدور الرجال وقراءتهم لغيرهم ، وتلقيهم عن غيرهم قبل جمع المصحف في ورقات ، فإذا كان الحفاظ يحفظونه بغير هذه الهيئة المجودة والصفة المحددة التي عليها الآن فمعنى ذلك أن الذين جاءوا بعدهم زادوا على القرآن ، والزيادة تحريف وتبديل كما هو معروف من معنى التحريف والتبديل .

وقد يقول القائل : إن القرآن لم يكن منقوطاً ، ولم يكن مشكولاً ولامحزباً ولا مجزئاً ، ولا يوجد فيه علامات مما هي موجودة الآن فيه ، فهل هذا يعتبر تحريفاً أم حفظاً ؟

أقول وعلى الله التوفيق والقبول : إن هذه العلامات وهذا التنقيط والتحزيب وغيره لم تغير في لفظه شيئاً بل لو أن هناك آلة تصوير يمكن بها تصوير القرآن المحفوظ في الذهن والصدر كما يصور في الخارج على الورق قبل هذا التنقيط وهذه الأشياء جميعاً لكان هو هو كما هو موجود الآن ، لأن العرب كانوا يعرفون الباء وينطقون بها باءاً ولا يحتاجون إلى تنقيط وكذلك جميع الحروف ولكن جاء الذي لا يعرف هذا بإختلاطه بالعجم فهو لا يفرق بين الباء والتاء والثاء ، فوضعت النقط هذه لترده إلى ما كان عليه سلفه الصالح من العرب وتقوم لسانه لكي يعرف

النطق الصحيح ويفرق بين الحروف ، كما قعدت القواعد في علم النحو وغيره ، فهذا ليس محل النزاع ، ومختلف عن الذي نقوله ، إنما نقول من يدغم بغنة ومن يشبع حركة فيأتي بحرف زائد وهكذا ، بما هو موضح في محله في آية تبديل بني إسرائيل القول فأرجع إليه وأحرص عليه .

ومن هذا يتضح أن الذي عليه الأمة أن القرآن وصل إلينا بلفظه ومعناه وهيئته وصفته ، وكل شيء فيه كما هو الآن ، فدل ذلك على وجوب التجويد حذراً من وقوع التحريف والله أعلم .

الدليل الثاني : الامامة :

«**أحق القوم أن يؤمهم أقرؤهم لكتاب الله**» والدليل الثاني من السنة المطهرة ما أخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ «**أحق القوم أن يؤمهم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القرءاة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً ، ولا يؤم الرجل في سلطانه ، ولا يقعد على تكرمته في بيته إلا بإذنه**» .

أقول : فلو أن هناك مجموعة من المهاجرين والأنصار لا يتقدم ليصلي بهم إلا أفضلهم في قراءة كتاب الله ولو كان فيهم فصحاء وبلغاء ، عملاً بهذا الحديث لأن المطلوب هو قراءة القرآن بالهيئة والصفة المعلومة التي فضل بها أفضل المقرئين عن غيره لذلك صلى بهم من أجلها ، ولو كان ولداً صغيراً ، مع وجود أحاديث أخرى تدل على ذلك .

ومن الناس من يقول : إن أقرأهم هنا معناه أعلمهم بكتاب الله قلت : إن هذا يخالف ظاهر الحديث وما قال رسول الله ﷺ بعد أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فلو كان كما تقول لأصبح فيه تكرار في الكلام فيكون المعنى أحق القوم أن يؤمهم أعلمهم بكتاب الله ، فإن كانوا سواء

في العلم فأعلمهم بالسنة ومعلوم أن العلم بالكتاب والسنة لايفترقان إذ أن الاخير تبع للأول وموضح له ومفسر فكيف نعرف المفَسِر ولا نعرف المفَسَر .

وحتى لو هذا المقصود لقلنا إن القراءة علم وسبق أن أثبتنا وقلنا : لقد تعلم الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً القراءة من رسول الله ﷺ **«وقال أيضاً تعلموا القرآن»** ، فتعلم قراءة القرآن علم فهو من ضمن علمهم بكتاب الله علمهم بكيفية قراءة كتاب الله تعالى ، وهذا أمر بدهي لا يخفى .

فدل ذلك أيضاً على أن القرآن يقرأ بهيئته المجودة وصفته المرتلة وهي المتلقاه عن رسول الله ﷺ .

الدليل الثالث : حديث للفقراء :

والدليل الثالث ما رواه سعيد بن منصور في سننه أن عبدالله بن مسعود كان يقرىء رجلاً : فقرأ الرجل ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين** ﴾ «التوبة ٦٠» (مرسلة أي بغير مد) فقال ابن مسعود رضي الله عنه : ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ فقال الرجل : كيف أقرأكها يا أبا عبدالرحمن ؟ فقال : ﴿ **للفقرآء والمساكين** ﴾ فمدها رجال إسناده ثقات رواه الطبراني في معجمه الكبير .

وقد صحح هذا الحديث المحدث محمد ناصر الدين الألباني ، ووضعه في سلسلته الصحيحة .

وبعد هذا نقول انكر ابن مسعود رضي الله عنه على الرجل قراءته المسترسلة وبين أن رسول الله ﷺ لم يقرئها له مرسله ، وإنما أقرأها له بالمد ، مع أن فعله وتركه سواء لا يغير في المعنى شيئاً ، ولكن لأن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه وكذلك غيره كثير مثل شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاويه الكبرى(١) وليس المقصود بكلمة سنة متبعة السنة المعروفة التى

---

(١) الفتاوي الكبرى ج ١ ص ٢٢٠ .

يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها بل المقصود طريقة متبعة لا يمكن الحياد عنها ، وقد عالجنا هذا الوهم الذي اعترى فهم بعض الناس عند كلامنا عن فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية .

ولقد أنكر ابن مسعود رضي الله عنه على الرجل لأنه لم يقرأ قراءة رسول الله ﷺ أن لو كان جائزاً فيها الاسترسال وعدمه ، أيعقل تشديد وإنكار وقول ابن مسعود رضي الله عنه ، بل ما كان له أن ينفي شيئاً عن رسول الله ﷺ وهو عدم القراءة بالاسترسال ، وهو يعلم حديث «**من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**» وأن لو كانت القراءة ليست بهيئة معينه وصفة محدده كما هي عليها الآن أكان لابن مسعود رضي الله عنه الانكار هذا مع أن الرجل لم يغير شيئاً في المعنى فما بالنا بمن يغير المعنى .

فدل ذلك على وجوب التجويد إستدلالاً بالجزء على الكل كما هو معروف ومألوف عند العلماء ، وكذلك الحديث الذي رواه البخاري عن قتادة قال :

سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال كانت مداً ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فمد بسم الله ومد الرحمن ، ومد الرحيم ، فيدل ذلك على وجوب التجويد ، لأن القرآن يقرأ بهيئة معينة وحال دائم كما كان يقرأه رسول الله ﷺ فما بقى للقائلين بالاستحباب سبيل إلا الإذعان والتسليم بفرضية تجويد كلام رب العالمين والله الموفق والمعين .

الدليل الرابع : مد القراءة :

ما أخرجه البخاري عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال : كانت مداً مداً .

أقول : هذا الحديث يبين قراءة رسول الله ﷺ كلها من مد وغن وإدغام وإظهار وإقلاب وغير ذلك مما هو موجود في علم التجويد ، ويضع حداً للقراءة

أنها لم تكن مسترسله من غير إشباع للحركات ، ويدل أيضاً على أن قراءة رسول الله ﷺ كانت دائماً على حالة واحدة وهي المد ، وهذا كما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت : «كان خلقه القرآن» أي لا يصدر منه شيء ألبته يخالف القرآن الكريم ، بل هو القرآن يمشى على الأرض ، فكذلك القراءة بالمد كانت في جميع أحواله ﷺ ، فما سمع منه مرة يقرأ هذرمة ، ومرة يقرأ بغير مد ، ومرة يقرأ بإسترسال من غير تمهل ، ولو وقع هذا لسمعنا به وعرفناه ولروى عنه ﷺ فهذا الحديث والحديثان الماضيان تعلمنا أن القرآن الكريم قرأ بهيئة معينة ألا وهي التجويد والالتزام بأحكام المد وغيرها .

وقد يقول قائل : تقول إن الأحاديث الثلاثة تثبت أحكام المد قد سلمنا لك بهذا فلا يجوز لأحد أن يقرأ بغير مد ،أما قولك أنها تثبت أحكاماً غير أحكام المد في هذه الأحاديث بالذات فلا نسلم لك به ، ولو قلت إن الأدلة السابقة من الكتاب والسنة وغير هذه الأحاديث لسلمنا لك لكن هذه الأحاديث بالذات لا نسلم لك بما قلته عنها .

أقول : هون على نفسك أخي الكريم ، وتعال معى نعرف السبب .

إن تعريف المد في اللغة هو الزيادة مثل قوله تعالى ﴿ **ويمددكم بأموال وبنين** ﴾ أي يزدكم وقوله تعالى ﴿ **ويمددكم ربكم** ﴾ أي يزدكم ، وكانت العرب تقول : مددت مداً أي زدت زيادة .

فالمقصود من المد في هذا الحديث المد المطلق وهو الزيادة ، والزيادة تطلق على المد المصطلح عليه عند علماء القراءة وهو إطالة الصوت بحرف الياء والواو والألف إذا جاء سببه ، ويطلق أيضاً على المد اللغوي وهو الزيادة أي أي زيادة خاصة وإنه لم تكن موجودة المصطلحات المعروفة في علم التجويد .

فهذا الحديث يقول لنا إن رسول الله ﷺ كان يمد في الإدغام ويمد في الإخفاء والإقلاب والغن وغير ذلك أي يزيد فيها فيشبع حركاتها جميعاً ، فيجعله كما نقرأه نحن الآن حركتين حركتين بدلاً من حركة واحدة مسترسله بما هو معروف عند علماء القراءة ، وهذا الكلام مبنى أيضاً على أن الإدغام وغيره ثابت في اللغة

والعرب كانوا يتكلمون به وبغيره كما وضحناه عند الكلام على عربية القرآن ، فالأحكام التي في العربية هي هي التي في القرآن لكن تختلف طريقة أداء القرآن عنه في العربية ، وبهذا الحديث يحصل عندنا علم بإن المد فيه ليس مقصوراً على المد المعروف في حروف المد فقط إنما معناه مطلق الزيادة سواء في حروف المد أو في غيرها ، وبهذا ترتفع الشبهة عن القراءة التي في رأسك أخي الكريم ونقول لقد ثبت بهذا تفصيل قراءة رسول الله ﷺ بتفسير معنى هذا الحديث .

وقد يقول هذا القائل : الا يكون حديث قتادة الذي يقول عندما سأل أنس بن مالك رضي الله عنه عن قراءة رسول الله ﷺ فقال كانت مداً ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم ، ألا يعتبر هذا مفسراً وموضحاً لمعنى المد في هذا الحديث المذكور وكذلك حديث ابن مسعود الآنف الذكر الا يعتبر موضحاً ومفسراً لمعنى المد في هذا الحديث ؟

أقول : إذا دققت النظر في هذه الأحاديث الثلاث ترى حديث ابن مسعود رضي الله عنه يثبت نوعاً من المد وهو ما يسمونه بالمد المتصل .

ثم حديث أنس رضي الله عنه الذي يقول فيه يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم يثبت مداً آخراً وهو المد الأصلي ، وكذلك يثبت نوعاً من المد الفرعي وهو هنا المد العارض للسكون ثم حديث أنس الذي يذكر فيه المد فقط يدل على المد عامة وهو الزيادة في أي شيء ومعلوم أن أنواع المد ليس الإثنان المذكوران في الحديثين الأول والثاني ولكن هناك أنواع من المد كثيرة موجودة في كلام العرب .

أن لو قلنا إن الحديثين الأولين يفسران ويوضحان الحديث الثالث ما أستقام هذا لماذا ؟

لأنه يوجد مد غير هذه المدود معلومة ومعروفة عند العرب ، فلو كان الحديثان يخبران عن كل أنواع المد الموجوده لقلنا هذا ، ولكن الواقع غير ذلك فالحديثان ينبئان عن معنى ما من الزيادة وليس الزيادة كلها فهما داخلان تحت الحديث فلا أعتراض لأن الحديث أعم منهما ، والتفسير والتوضيح إنما يكون بمساواة الأطراف

وهذه لم يحدث فيها تساوٍ ، بل الحديثان بعض من الحديث الثالث والله أعلم .

ويقول هذا القائل : فما معنى كلامك السابق الذي قلت فيه : إن حديث ابن مسعود وحديث أنس اللذان ذكرا في الدليل الثالث إنهما يشيران بالجزء على الكل واثبت بهما فرضية التجويد .

قلت : هذا معروف ومفهوم عند العلماء بأنهم يكتفون عندما يريدون الإشارة إلى الكل يكتفون بإشارتهم إلى الجزء ليدل على الكل خاصة وهذا الجزء من نفس النوع وهو المد ، وليس الكلام عليه إنما الكلام على التفسير والتوضيح بما يستلزم المطابقة في المعنى .

ثم يقول هذا القائل : جواب مقنع لكن يوجد سؤال وهو لماذا ذكر المد فقط ولم يذكر الإدغام والإقلاب والإخفاء وغير ذلك مع أن جميع هذه الأشياء والمد موجود في اللغة ومعروف .

قلت : **أولاً** : إشارة بالجزء إلى الكل كما وضحناه في حديث ابن مسعود وفي هذا الدليل ، وكما هو معروف ومقرر عند العلماء ولا ينكره أحد .

ثانياً : لأن لغة العرب فيها الإدغام والإقلاب والإخفاء والغنة وغير ذلك ، وهذه الأشياء على ألسنة الناس جميعاً لا فرق بين العالم منهم والجاهل والفصيح وغير الفصيح ، والشاعر وغير الشاعر في النطق بها لأنها اللغة التي يتخاطبون بها ولكن المد لم يكن إلا في مواقف محدده مثل الحلف ، والشعر مثل الأُنذار وجمع الناس ، ويكون في الأشياء العظيمة ، فلما لم يستعمل بكثرة كإستعمال الإدغام وغيره نبه عليه حتى يعرف أن القرآن يقرأ بالمد ولا يقرأ بالاسترسال الذي هو ضد المد .

ولأن الله تعالى خلق البشرية ويعلم ما يدور بين عباده في جميع شئونهم ويعلم أنهم سيختلفون في المد في بعض القراءات جعل قتادة يسئل أنساً عن قراءة رسول الله ﷺ ليقول له إنها كانت مداً ، حتى تعرف جميعاً أن المد موجود وأصل في القراءة وبمعرفته يمنع الاشكال والأعتراض عليه ، والله تعالى أعلى وأعلم .

فهذا ما فتح الله على به في هذا الحديث بما أظن أني لم اقرأه لأحد من الكاتبين وأقول اللهم أفتح علينا من حكمتك وأنشر علينا رحمتك يا ذا الجلال والأكرام .

الدليل الخامس : التحذير من اللحن في القراءة :

والدليل الخامس هو قوله ﷺ عن الرجل الذي لحن في قراءته «**أرشدوا أخاكم**» كنز العمال ٢٨٠٩ .

وفي رواية «**أرشدوا أخاكم فقد ضل**» .

أقول : لما كانت قراءة رسول الله ﷺ مبينة للحروف ومخارجها تبيناً واضحاً ، وإعطاء الحروف صفاتها اللازمة لها ، ومستحقاتها أي صفاتها الفرعية ، فلم يرخص رسول الله ﷺ للرجل الذي لحن في قراءته أي أخطأ فيها وإنما قال أرشدوا أخاكم أي لا تتركوه على خطئه وضلاله في القراءة ، فدل ذلك على وجوب القراءة المجودة وعدم اللحن فيها والله أعلم .

الدليل السادس : حادثة أُبيّ :

وهو ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾ قال : وسماني لك . قال : نعم قال : فبكى**» .

هذا الحديث فيه دلالة واضحة على أن القرآن يقرأ على أهل العلم والفضل ليعرف حق المعرفة ويقرأ حق القراءة ولو كان القارىء أهل علم وفضل وكان أفضل من المقروء عليه في علمه وفضله وغير ذلك ، لكن لا يمنع علمه بأن يقرأ ليتعلم أحكام التلاوة وكيفية القراءة ومعلوم أن النبي ﷺ هو الذي علم أبياً وأقرأه ، لكن فعل ذلك لتستن الأمة به ﷺ كما قال النووي رحمه الله تعالى :

وأختلفوا في الحكمة في قراءته عليه السلام على أبي والمختار أن سببها أن تستن الأمة بذلك في القراءة على أهل الاتقان والفضل ويتعلموا آداب القراءة ولا يأنف أحد من ذلك ، وقيل للتنبيه على جلالة أبي وأهليته لأخذ القرآن عنه ، وكان بعده ﷺ رأساً إماماً في إقراء القرآن وهو أجل ناشيريه أو من أجلهم أهـ .

قلت : وسواء كان المعنى المراد هو الأول أو الثاني فالمعنيان يوضحان أن القرآن لابد وأن يقرأ على أهله العالمين به المدققين لأحكام قراءته لأنهم أعلم الناس بذلك ، ولو أن القرآن الكريم لا يقرأ بهيئته التي هو عليها الآن المعروفة المحددة ما كان هذا الاهتمام من رب العالمين بأن يأمر رسوله الكريم وهو الرسول المبلغ للقرآن والمعلم له ، لكن كان فعل ذلك لكي تستن الأمة به ﷺ خاصة والقرآن له أشياء لا يعلمها كل أحد فوجب تعلمها على أهلها . والله أعلم .

الدليل السابع : قراءة ابن أم عبد :

وهو ما رواه أحمد وابن ماجه والحاكم من حديث أبي بكر وعمر وصححه الألباني قال ﷺ «**من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما نزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد**» وفي رواية أخرى «**أراد بدلاً من أحب**» وفي حديث آخر «**إن الله يحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل**» .

ولقد ظن فريق الاستحباب إن هذا الحديث حجة لهم ، وذلك أنهم فهموا كلمة أحب هنا للتخيير أو كلمة أراد في بعض الروايات للتخيير أيضاً ، أي من يختار لنفسه أن يكون في القراءة على علم جم و يقرأه كما كان رسول الله ﷺ يقرأه أو كما أحبه الله تعالى ، وإن لم يقرأه فلا شيء عليه حتى ولو قرأه ببعض الألحان ، ويقول إن كان هذا واجباً ما قال رسول الله ﷺ «**أحب أو يحب أو أراد**» .

أقول له : إن كلمة أحب هنا لا تفيد التخيير وكذلك كلمة أراد والدليل على ذلك قوله تعالى لرسوله ﷺ ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم** ﴾ .

ومعلوم أن شرط الإيمان حب الله تعالى وإتباع رسول الله ﷺ وبغض أعدائه ، بل قال النبي ﷺ **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ونفسه»** ، **فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إلا نفسي يا رسول الله ، فكرر رسول الله ﷺ ذلك ، فقال عمر : الآن يا رسول الله ، فقال له رسول الله ﷺ : الآن يا عمر أو كما قال ﷺ** .

فهل الحب هنا بمعنى التخيير ، وكذلك الإرادة لا تفيد التخيير والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً** ﴾ فهل الإرادة هنا معناها التخيير .

وقد يقول قائل : إن كلمة الحب إذا أطلقت كان معناها التخيير ولكن عدم التخيير لدليل آخر مثل قوله تعالى ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ . (النساء ٥٩)

نقول له : ففي هذا المقام كذلك إذا قال رسول الله ﷺ أحب ودليل آخر ينزع هذا التخيير من هذا الحب وهو قراءته والأدلة السابقة كلها فاندفع قولك .

فدل ذلك على وجوب قراءة القرآن كما أنزل والله أعلم .

الدليل الثامن : اية النساء :

وهو أمر النبي ﷺ للصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه ما تيسر من القرآن فقال له ابن مسعود رضي الله عنه يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل : قال إني أشتهى أن أسمعه من غيرى ، فقرأ عليه من النساء ﴿ حتى إذا بلغت فكيف إذا جئنا من كل أمة شهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ فقال رسول الله ﷺ حسبك فرفعت رأسي فإذا عيناه تذرفان .

هذا الحديث يدل أولاً : على عرض القرآن والعالمين به ، وتكون هذه طريقة التعلم والتعليم كما قال ابن حجر في فتح البارى في باب من أحب أن يستمع

القرآن من غيره ، قال : قال ابن بطال يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه وذلك لأن المستمع أقوى على التدبر ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارىء لإنشغاله بالقراءة وأحكامها وهذا بخلاف قراءته ﷺ على أبي بن كعب كما تقدم في المناقب فإنه أراد أن يعلمه كيفية أداء القراءة ومخارج الحروف ونحو ذلك أهـ .

قلت : وكلمة سنة هنا معناها طريقة متبعة أي ليكون عرض القرآن بهذه الطريقة التي كانت تعرض على رسول الله ﷺ وابن مسعود الذي قال عنه رسول الله ﷺ **«من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»** هو هو الذي قال له ﷺ **«أقرأ علي القرآن فأنا أشتهي أن أسمعه من غيرى فبكى رسول الله ﷺ عند تلاوة ابن مسعود للقرآن»** .

فلماذا قال رسول الله ﷺ لابن مسعود بالذات وهناك من أصواتهم كأنها مزماراً من مزامير داود ، فقد إختاره رسول الله ﷺ لينبه أن الخشوع والبكاء يزداد كلما إزداد إتقان المقرىء للقراءة ومعرفة أحكامها وإنما الفائدة من سماع القرآن وتلاوته هو الخشوع والتدبر والاتعاظ قال تعالى ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن** ﴾ . (محمد ٢٤)

وقال تعالى أيضاً ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** ﴾ . (الحشر ٢١)

فالقراءة المهذرمة ، أو المسترسلة بدون تجويد لا تأتي بخشوع ولولا أنها لا تأتي بخشوع لم يقل الله تعالى ﴿ **ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ فالقراءة المجودة هي التي تأتي بالخشوع ولولا الخشوع فما الفائدة من القراءة .

وقد يعترض معترض ويقول : كم من الناس الآن يعرفون أحكام التلاوة حق المعرفة ، ويقرأون القرآن على أحسن وجه ومع ذلك فهم لا يخشعون .

قلت : إن الأصل هو الخشوع مع القراءة المرتلة المحسنة المجودة كما أن الأصل في الناس أن يكونوا عابدين لله تعالى موحدين لا يشركون به شيئاً .

والدليل واضح على ذلك .

فإذا خولف هذا الأصل وجاء إنسان ما في قلبه مرض لا يتعظ ولا يخشع حينما تتلى عليه آيات الله مرتلة مجودة ، فليس هذا يجعلنا نقول : إن القراءة المجودة لم تكن للخشوع كما أن هناك أناساً كفاراً فليس معنى ذلك إن التوحيد فيه عيب .

فكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وكما قيل أيضاً .

ما ضر شمس الضحى بالافق طالعة
أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وأقول : ليس هذا جهة الكلام حتى تعترض وإنما الكلام على القراءة التى تكون سبباً في الخشوع ، وليس التفتيش والبحث والحكم على الناس وقلوبهم ، فدل ذلك على وجوب التجويد والله أعلى وأعلم .

الدليل التاسع : مكانة الماهر وأجر المتعتع :

وهو قوله ﷺ «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن يتعتع به وهو عليه شاق فله أجران**» . متفق عليه

نبه رسول الله ﷺ على الذي يقرأ القرآن بدون لحن ماهر به أى لا خطأ فيها أى يقرأه كقراءة رسول الله ﷺ فهذا له الدرجات العلى ، ثم نبه على الذي يتعتع في القرآن والقراءة عليه شاقة له أجران ، وقد يظن البعض إن التعتعة هي اللحن في القراءة فهو يلحن ويكون له أجران ويفسر التعتعة بالخطأ في القرآن .

أقول لا يستقيم المعنى لو كان التفسير هذا ، فلفظ تعتع يتطلب أنه يعرف الصواب ولكن لا يستطيع أن ينطق به لأنه عليه شاق ، ولسانه لا يطاوعه على ذلك ، فالمتعتع يتردد بين الخطأ والصواب .

ولا يكون هذا إلا بالتعلم ، فلو أن الانسان يقرأ بالخطأ فقط ولا يعرف الصواب ولا يتمرن عليه ولا يرده أحد إليه ، لا تكون القراءة شاقة عليه ، لأنه يقرأ القرآن بما يعرف وليس معرفته شاقة عليه إذ هي طبيعته التي يتكلم بها الكلام العادي فلا تنطبق المشقة عليه ، أما المشقة فتنطبق على رجل يتأرجح بين شيئين ، أحدهما صواب والآخر خطأ في هذا المقام ، فهو تارة يقرأ صواباً وأخرى يقرأ خطئاً وهو يحاول أن يأتي بالصحيح ويبدل الخطأ بالصواب الذي يكون صعباً عليه عسيراً لذلك قال رسول الله ﷺ «**وهو عليه شاق**» فدل ذلك على أن القرآن يقرأ بهيئة معنية وهي الهيئة المجودة . والله أعلم .

الدليل العاشر : تحسين القران بالاصوات :

وهو قوله ﷺ «**حسنوا القرآن بأصواتكم**» .

لماذا يأمر رسول الله ﷺ بتحسين القرآن بالصوت مع أن القرآن كلام عربي والكلام العربي ليس شرطاً أن يلقى بصوت حسن ؟

أمرنا رسول الله ﷺ بهذا لكى ينبهنا على أن القرآن نعم هو بلسان عربي مبين إلا أنه تختلف طريقة آدائه عن طريقة أداء الكلام العادي ، لأنه ليس كلاماً عادياً ، وإنما كلام خالق الكون فلابد أن يفترق حتى في طريقة أدائه عن أي كلام آخر لذلك كانت طريقة إلقاء القرآن ونظمه وايقاعه يعتبر إعجازاً فليس الإعجاز بالمعنى فقط وإنما أيضاً بالمبنى ونظم الحروف ونسق تألف مخارجها وإختيار الكلمات التي تختلف في الأحكام ، فطريقة تنظيم ووجود الإدغام مع الإظهار مع الإخفاء في كلمات معينة ومواقف محددة وحروف معروفة مخارجها وصفاتها أعطت للقرآن جمالاً سمعياً قبل الجمال المعنوى لأن اللفظ إذا كان حسناً لابد وأن يشتاق الذهن ولا يرتاح إلا إذا عرف معنى ومراد هذا النظم الحسن وهذا هو حال المشركين عندما كانوا يذهبون ليلاً ليسمعوا كلام رب العالمين بخير قراءة من على وجه الأرض رسول الله ﷺ ، فالقرآن مع أنه عربي بلسان عربي مبين إلا أن الله تعالى أراد أن يفرق بين النطق به والنطق بالعربية لأن هذا تعظيم لشأن

القرآن حتى في تلاوته ، فوجب علينا أن ننفذ ما أمرنا الله تعالى به وما أمرنا به رسوله ﷺ حتى نكون مطيعين لله قارئين كتابه كما يريد ويحب سبحانه جل في علاه .

ثالثـا : الاجمـاع :

وكما هو معروف أنه إذا إجتمع علماء فن ما وقرروا شيئاً في فنهم وحدث منهم إجماع على ذلك ، لا يجوز لأحد أن يعترض على هذا ولو كانوا علماء جهابذة في فنـون أخـرى غير هذا الفن كما هو مقـرر في علم الأصول حيث قال العلامة الاسنوى في شرحه على منهاج البيضاوي في أصول الفقه عند شرائط الإجماع ما نصه :

إن الإجماع في كل فن من الفنون يشترط أن يكون فيه قول جميع علماء ذلك الفن في ذلك العصر ، فلا عبرة بقول العوام ولا بقول علماء فن في غير فنهم لأن قولهم فيه يكون بلا دليل لكونهم غير عالمين بإدلته ، والقول بلا دليل خطأ لا يعتد به . أهـ(١) .

وكذلك قال العلامة بخيت المطيعى مفتى مصر الأسبق في تعليقه على هذا الكلام ما يؤيده لأن هذا أمر متفق عليه بين الاصوليين فلا يجوز لأحد أن ينكره ، وعلى هذا أقول :

إن كل علماء التجويد أجمعوا على أن قراءة القرآن بالتجويد فرض عين على كل من أراد أن يقرأ شيئاً من القرآن من ذكر أو أنثى فهو إجماع لهؤلاء العلماء ، ولم نعلم أحداً من علماء هذا الفن خالف ذلك بصرف النظر عن إجماع العلماء في الفنون الأخرى الذي ثبت أيضاً في كلام الشيخ محمد مكي نصر الذي لم يرو إجمـاع علماء التجويد فقط بل روى إجماع الأمة المعصومة عن الخطأ لأن الأمة متفقة على أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ القرآن بخطأ ما .

فقال في كتابه نهاية القول المفيد عند إستدلاله بالأجماع على فرضية التجويد ما نصه :

فقد إجتمعت الأمة المعصومة من الخطأ على وجوب التجويد من زمن النبي ﷺ إلى زماننا ، ولم يختلف فيه عن أحد منهم ، وهذا من أقوى الحجج . أهـ(٢) .

فلذلك ترى العلماء جميعاً يقرون هذا ، فترى الحافظ ابن الجزري في نشره يقول إنه واجب ، وابن غازي في شرحه على الجزرية كذلك ، والشيرازي مصنف الموضح والسيوطي في إتقانه والنووي في أذكاره ، والقسطلاني في لطائف إشاراته والنويري في شرحه على الطيبة ، ومكي ابن أبي طالب وأبو عمرو الداني ، والإمام الشافعي والرافعي وشيخ الإسلام زكريا الانصاري في شرحه على الجزريه بل إنهم قالوا :

إن الذي لم يأت بالتشديد في كلمة إيَّاك تبطل صلاته إن كان عالماً ، لأن معنى كلمة أيا من غير تشديد هو ضوء الشمس ، فكأن القارىء يقول ضوء الشمس نعبد وضوء الشمس نستعين وهذا شرك محض ، ومدار هذا الكلام للقادر الذي يستطيع أن ينطق ولكنه يتساهل أو لا يتعلم أما غير القادر فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها وعليه أن يعرف ماذا عليه كما هو موضح في كتب الفقه وليس هذا محله ، وهذا متفق عليه عند العلماء من كل مذهب ولو أردنا لأوردنا كلامهم جميعاً ولكن المقام لا يتسع ونورد منها بعض فتاوي أولى العلم بأجوبة مباشرة تبين المقصود دون عناء بإستنباط أو تطويل تضيع معه الاوقات فنقول منها :

---

(١) نهاية السول وشرح منهاج الأصول بتعليق بخيت المطيعي ج ٣ ص ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥ .

(٢) نهاية القول المفيد ص ٩ .

رابعا : أقوال أئمة القراء والدين في وجوب تجويد كلام الله تعالى

(١) فتوى المحقق ابن الجزري رحمه الله : ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حروفه متعبدون بتصحيح الفاظه وإقامة حروفه على الصفه المتلقاه من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا يجوز مخالفتها ولا العدول الى غيرها والناس في ذلك بين محسن مأجور ومسيء آثم أو معذور فمن قدر على تصحيح كلام الباري باللفظ الصحيح العربي الفصيح وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمى استغناءاً بنفسه وإستبداداً برأيه وحدسه وإتكالاً على ما الف من حفظه وإستكباراً عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه فإنه مقصر بلا شك وآثم بلا ريب وغاش بلا مرية ، فقد قال رسول الله ﷺ «**الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» أما من كان لا يطاوعه لسانه أو لا يجد من يهديه الى الصواب بيانه فإن الله لا يكلف نفساً الا وسعها .

(٢) فتوى الشيخ أبي عبدالله نصر بن علي بن محمد الشيرازي : فقد قال بعد كلامه عن مراتب الترتيل ولزوم التجويد «فإن حسن الأداء فرض في القراءة ويجب على القارىء أن يتلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتغيير إليه سبيلاً .

(٣) فتوى الشيخ عامر السيد عثمان رحمه الله تعالى شيخ المقارىء المصرية سابقاً يجب أن يتلو المؤمن القرآن الكريم حق تلاوته ، كما كان يفعل رسول الله ﷺ وأصحابه .

(٤) فتوى الشيخ ناصر الدين الطبلاوي . في جوابه حول أحكام النون الساكنة والتنوين وهل يجب مراعاة هذه الأحكام بحيث يأثم المرء بتركها .

فأجاب رحمه الله «الحمد لله الهادي للصواب نقول بالوجوب في جميع ذلك من أحكام النون الساكنه والتنوين والمد اللازم والمتصل ولم يرد عن أحد الأئمة أنه خالف فيه وإنما تفاوتت مراتبهم في المد المتصل مع اتفاقهم على أنه لا يجوز قصره كقصر المنفصل في وجه من الوجوه ثم قال يجب على كل عاقل له ديانه أن يتلقى هذا العلم بالقبول عن الأئمة المعتبرين ويرجع اليهم في كيفية آدائه لأن كل علم يؤخذ عن أهله فاعتنى به ولا تأخذ بالظن ولا تفعله عن غير أهله ويجب على المعلم للقرآن من فقيه الأولاد وغيره أن يعلم تلك الأحكام وغيرها مما إجتمعت القراء على تلقيه بالقبول لأن كل ما اجتمعت عليه القراء حرمت مخالفته ومن أنكر ذلك فهو مخطىء ويجب عليه الرجوع عن هذا الأعتقاد والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

(٥) فتوى الشيخ محمد بن خلف الحسني الشهير بالحداد شيخ القراء والمقارىء بالديار المصرية سابقاً وقد وجه إليه سؤال حول التجويد وهذا نصه ما حكم قراءة القرآن بدون تجويد وما حكم الاكتفاء بأخذه من المصاحف بدون معلم ؟

فأجاب رحمه الله : أقول وبالله التوفيق والهداية الى أقوم طريق : إعلم أن تجويد القرآن واجب وجوباً شرعياً يثاب القارىء على فعله ويعاقب على تركه ، فرض عين على كل من يريد قراءة القرآن لأنه نزل على نبينا مجوداً ووصل إلينا كذلك بالتواتر وأخذ القرآن من المصحف بدون تلق من أفواه المشايخ المتقين لا يجوز .

(٦) قال الشيخ حسن شيخ عثمان ما نصه : حكم تعلم التجويد هو فرض كفاية على المسلمين إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين .
وحكم العمل به فرض عين على كل مكلف من المسلمين والمسلمات عند تلاوة القرآن فإن حسن الأداء فرض في القرآة ويجب على القارىء أن يتلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن أن يجد اللحن والتغيير إليه سبيلاً .

قال تعالى ﴿ **قرآنا عربياً غير ذى عوج** ﴾ «الزمر ٢٨» .

وأقل ما يلزم المكلف قراءته مجوداً ما فرض عليه قراءته في الصلاة لمن لا يقدر على الاستزاده من قراءة القرآن فالناس في قراءتهم للقرآن أحد ثلاثة :

١ ـ محسن مأجور أو معذور أو مسىء آثم فالمحسن المأجور هو الذي تلقى القرآن بسند صحيح وجود قراءته باللفظ الصحيح العربي الفصيح وهذا حال من عناه رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه «**والذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البرره**» .

٢ ـ **والمعذور من كان لا يطاوعه لسانه أو لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها وهذا حال من عناه الحديث الشريف المتفق عليه «والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران»** ولكن على المسلم أن يجتهد لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .

٣ ـ أما المسيء الآثم فمن قدر على تصحيح كلام الله باللفظ الصحيح العربي الفصيح وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمى إستغناءاً بنفسه وإستبداداً برأيه وحدثه وإتكالاً على ما ألف من حفظه ، وإستكباراً عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه فإنه مقصر بلا شك وآثم بلا ريب وغاش بلا مريه ، فقد قال رسول الله ﷺ «**الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» .

(٦) الشيخ محمود علي بسه المدرس بقسم القراءات بكلية اللغة العربية بالأزهر سابقاً قال : إتباع أحكام التجويد عند التلاوة فرض عين على كل مكلف يحفظ أو يقرأ القرآن أو بعضه ، وإذاً فيأثم تاركه . أهـ . مختصر .

(٧) الشيخ عامر سعيد الموجه الفني للتربية الإسلامية بالكويت قال : يجب على كل مسلم أن يقرأ القرآن الكريم كما أنزله الله تعالى مجوداً لقوله تعالى ﴿ **ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ ولقوله ﷺ «**إقرؤا القرآن كما علمتموه**» ولإجماع الأمة على وجوبه .

(٨) فتوى فضيلة الشيخ عبدالله الأنصاري قال : لابد لقارىء القرآن الكريم من تجويده وترتيله لأنه نزل على رسول الله ﷺ مجوداً ، فواجب على الأمة أن تجوده ، والذين كانوا يقولون بعدم التجويد قد أندثروا والحمد لله رب العالمين .

(٩) فتوى فضيلة الشيخ سعيد عبدالله أستاذ القراءات بجامعة أم القرى قال : التجويد فرض عين على كل من أراد أن يقرأ شيئاً من القرآن .

(١٠) الشيخ محي الدين عبدالقادر ، سكرتير رابطة القرآن وعضو في لجنة المصاحف بالعراق . . قال . . مانصه : التجويد لا خلاف في أنه فرض كفاية . والعمل به في قراءة القرآن فرض عين على كل مسلم ومسلمة من المكلفين .

(١١) الشيخ محمد سعيد محمد علي ، مدرس التجويد في دار القرآن الكريم بنابلس . . قال . . ما نصه : إتباع أحكام التجويد عند التلاوة فرض عين على كل قارىء مكلف بأداء الفرائض مسلم ومسلمة لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ **ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ ثم قال ﴿ **ورتلناه ترتيلا** ﴾ كما قال ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته** ﴾ .

(١٢) قال الشيخ عثمان سليمان مراد ، شيخ المقارىء المصرية بالأزهر الشريف سابقاً . . مانصه :

تجويدك القرآن حتم واجب إن لم تجوده فأنت مذنب
لأن ربي كلف الإنسان به فقال رتل القرآن

(١٣) قال الشيخ عبدالوارث سعيد ، يتفق علماء التجويد على أن كل مسلم مطالب بإتباع أحكام التجويد عند القراءة والتقصير في هذا دون عذر مقبول شرعاً صاحبه في الإثم .

(١٤) قال الشيخ علي بن أحمد صبره ، أحد علماء الأزهر الشريف ومدرس القراءات سابقاً . . ما نصه عن حكم التجويد : الواجب العينى على قارىء

القـرآن من مسلم ومسلمـة فترك التجويد في قراءة القرآن حرام . . وإتباع أحكامه في التلاوة فرض عين لأنه توقيفى لا يقبل الزيادة ولا النقصان ومن لم يقرأ بالوجه المنزل من عند الله تعالى يكون مخالفاً له ولرسوله .

(١٥) الشيخ حسن دمشقيه ، قال ما نصه : أعلم أيها القارىء للقرآن أنه يجب عليك أن تقرأ القرآن الكريم كما ستتلقاه من معلمك وفقاً لأحكام التجويد لأن الله تعالى أنزله بلسان عربي مبين .

(١٦) قال الشيخ محمد هشام ، مدرس القرآن بدولة الإمارات . . ما نصه : تلاوة القرآن وفقاً لأحكام التجويد فرض عين على كل مكلف وقراءته بغير هذه الأحكام لحن يأثم القارىء بفعله لأنه يؤدي إلى فساد المعنى المراد في كثير من الآيات والأداء الصحيح وفـرق العلماء في الحكم بين أمرين . الأول تعلم أحكام التجويد والثاني أداء التلاوة على وفق هذه الأحكام . . فأعتبروا الأول فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين واعتبروا الثاني فرض عين على كل قارىء مكلف لأن الله تعالى قال: ﴿ **ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ والترتيل : أداء القرآن كما أنزل .

خطأ يجب أن يصحح

وبعد أن علمنا هذا كله فإنه يوجد بعض من الناس يظن أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى لا يقول بالتجويد ، بل يكره المد والقصر وغير ذلك ، وينبذ المشتغلين به في المجلد السادس عشر من مجموع الفتاوى حيث قال : ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن ، إما بالوسوسة في خروج حروفه وتدقيقها وتفخيمها وإمالتها والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط وغير ذلك ، وكذلك شغل النطق بـ«أأنذرتهم» وضم الميم من عليهم ووصلها بالواو وكسر الهاء أو ضمها ونحو ذلك ، وكذلك مراعاة النغم وتحسين الصوت إلى آخره(١) .

أقول لإخواننا الذين فهموا هذا عن شيخ الإسلام إنه فهم خاطىء وتوجيه غير صحيح يجب أن يصحح ، فالعلامة ابن تيمية يعلنها صراحة في فتاويه الكبرى عندما سئل عن جمع القراءات السبعة هل هو سنة أم بدعة ، وهل جمعت على عهد رسول الله ﷺ أم لا ، وهل لجامعها مزية ثواب على من قرأ برواية أم لا ؟ وكان جوابه رحمه الله تعالى كالآتي :

أما نفس معرفة القراءة وحفظها سنة ، فإن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول ، فمعرفة القراءات التي كان النبي ﷺ يقرأ بها أو يقرهم على القراءة بها أو يأذن له وقد أقرؤا بها سنة .

والعارف بالقراءات الحافظ لها له مزية على من لم يعرف ذلك ولا يعرف إلا قراءة واحدة ، وأما جمعها في الصلاة أو في التلاوة فهو بدعة مكروه ، وأما جمعها لأجل الحفظ والدرس فهو من الاجتهاد ، والذي فعله طوائف في القراءة ، وأما الصحابة والتابعون فلم يكونوا يجمعون . والله تعالى أعلى وأعلم ، أ. هـ(٢) .

---

(١) مجموع الفتاوي ج ١٦ ص ٥٠ .

(٢) الفتاوي الكبرى ج ١ ص ٢٢٠ .

وأقول : **أولاً** : إن كلمة سنة في كلام ابن تيمية رحمه الله معناها طريقة متبعة وليس معناها السنة التي يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها فمن فهم إن السنة المقصودة في الكلام هي التي يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها فهذا فهم خاطىء يجب أن يصححه والدليل على ذلك تفسير ابن تيمية نفسه لمعنى هذه الكلمة حيث قال : يأخذها الآخر عن الأول .

فهذه طريقة متبعة لا يجوز الحياد عنها ، وليس معناها السنة التي أقل من الفرض كما قال ذلك أيضاً زيد بن ثابت رضي الله عنه وغيره كثير .

ثانياً : إن ابن تيمية رحمه الله لم ينكر القراءات بل اثبتها ، وكيف ينكرها والاحاديث الصحيحة في البخاري ومسلم وغيرهما موجودة بكثره ويرويها ابن تيمية نفسه في الاستدلال على نزول القراءات في مجلده الخامس والعشرين من مجموع الفتاوى ، ثم كيف ينكر الحديث الصحيح الذي يقول «**حسنوا القرآن بأصواتكم**» ، وكذلك الاحاديث الصحيحة التي جاءت في التغني بالقرآن .

لم يكن قصد ابن تيمية إنكار كلمة «عليهم» بالضم أو غيرها أو المد أو غيره بل كان إنكاره على من يجعل همته هذه ويتكلف فيها ويتعسف واقرأ كلام ابن تيمية نفسه تجده يقول عن الذين يحجبون عن حقائق الأشياء بالوسوسة في خروج حروف القرآن ، فهل ابن تيمية ينكر أن يخرج كل حرف من مخرجه ، لا والله إنما ينكر الوسوسة لأن كثرتها تبطل الصلاة ، وكذلك لا ينكر المد وغيره إنما ينكر الوسوسة التي تحجب الانسان عن حقائق القرآن فكان إنكاره على الذين لا هم لهم إلا التهوع والتنطع في القراءة والتعسف والتكلف فيها وتركوا ما جعلت القراءة طريقاً له وهو الخشوع فقال عنهم إنهم أبعد الناس عن الله تعالى ، ونحن نؤيده في ذلك إذ القراءة لم تكن إلا وسيلة للتدبر والخشوع ولتنفيذ ما يقرأ وكل علم لم يتبعه عمل فهو باطل وصاحبه من أول الداخلين جهنم والعياذ بالله .

ثم كيف ينكر ابن تيمية ما أثبته في المجلد الخامس والعشرين من أن القرآن وصل إلينا بصفة معينة وهيئة محدده ونزل بقراءات متعددة بها يدل على أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ القرآن إلا بالتجويد ثم من أكمل قراءة الكلام الذي في المجلد

السادس عشر يجد أنه ينكر الوسوسة في العلوم والتكلف فيها لا ينكر العلوم فإنه يعيب أيضاً على تتبع وجوه الاعراب واستخراج التأويلات المستكرهة التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان .

ولتمام الفائدة ننبه على أنه قد يظن بعضهم أن القراءات سبعة فقط ولو أنها أزيد من سبعة لنبه عليها شيخ الإسلام .

أقول : إنما أجاب شيخ الإسلام على قدر السؤال الذي وجه إليه ، ولم يكن السؤال يقول هل القراءات سبعة فقط أم أكثر من ذلك ؟

فلو كان السؤال هكذا لقلنا لهم إن فهمكم صحيح ولكن السؤال لم يكن كذلك .

ولم يسأل عن عدد القراءات وإنما سأل عن جمع سبعه منها ، وبالتالي على جمع أكثر من سبعة لأنه يوجد أكثر من سبعة متواترة ومقروء بها فتنبه لهذا فإنه مهم ويشكل على كثير من الناس والله أعلى وأعلم .

الخاتمة

وبعد أن بينا حال المسلمين لتلاوة كلام رب العالمين ، ومدى التقصير الذي هم فيه نحو كتاب ربهم ، ومنهاج حياتهم ، وعدم المحافظة على عزهم وشرفهم والتهاون فيه لأقصى حد ، وعدم أخذهم له بقوة وجد ، فلم يوفوه حقه بل لم يعرفوا قدره ، وابتعدوا عن المنهاج وساروا يتخبطون هنا وهناك ، لأن أول طريقهم ضياع المبنى فلم يفهموا المعنى ، وحرفوا وبدلوا هذا القرآن العظيم الذي هو كلام رب العالمين .

فلذلك كانت العصمة من تحريف كلام الله والنجاة من تبديله هو في اتباع طريق الأولين ، والمشى على نهجهم ، فهم السلف الصالح ، ومن لم يمشى على طريقهم فهو الفاسد الطالح ، قد ضاع في غيابات الذنوب ، وتاه في دياجير الظلام ، لكن نهج السلف ينجى ، وإتباع الرسول ﷺ أمر محتوم ، فكانوا للقرآن مرتلين ، ولحروفه مجودين ، ولمبناه حافظين ، ولمعناه فاهمين دارسين عالمين ، فالعصمة من تحريف كتاب الله ، والنجاة من تبديل كلام الله ، في التجويد حتى نكون في مأمن من غضب الله وعقابه ، وناره وعذابه ، فلذلك أتيت بنشأة علم التجويد ومبادئه ، وبينت الآراء في حكمه وتطبيقه فمنهم القائل بإنه بدعة ، وهذا الرأى ليس في بضاعة العلوم بسلعة وليس له وزن ولا قيمة ، ولا يستند إلى حديث أو آية ، بل هو أضغاث أحلام ، وتحطيب بليل والناس نيام .

ومنهم القائل بإنه مستحب ، والتجويد إلى هذا الفريق أحب ، ولكنه لا يعرف دليلاً على الوجوب ، وظن أنه بذلك غير محجوب عن الصواب في القول ، والتطبيق في الفعل ، فنادى به وعمل له ، وظن أنه هو أصوب الأقوال وغيره هالك أو ضلال ، فمن أجل ذلك بينا له الدليل من الكتاب الكريم ، بآيات رب العالمين ، التى بُنِيَت على أثرها عربية القرآن ، وأثبت أن جميع أحكام التجويد من كلام العرب ، بل هو الذي يتخاطبون به ، ويعرفونه ، لا فرق في

ذلك بين عالمهم وجاهلهم ، وبليغهم وبليدهم ، وشاعرهم وناثرهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، ورجالهم ونسائهم لأنها اللغة التي يتحدثون بها ويعبرون بها عن أغراضهم التي يريدونها .

فما كانت هذه الأحكام جديدة بنزول القرآن ، ولكن جاء الأمر بالتؤده فيها والتمهل في القراءة بها ، ليجعل هناك إختلافاً بين كلام الله تعالى وكلام المخلوق ، لأنه ليس الخالق كالمخلوق ، وليس الرازق كالمرزوق فاختلفت طريقة الأداء في القرآن الكريم عنه في العربية كما إختلفت مكانة كلام رب البرية عن كلام البشرية وذكرت إثنى عشر دليلاً من القرآن ، وذلك بفضل الكريم المنان ، ثم أتيت بعشرة أدلة من السنة المطهرة ، وكانت بفضل الله تعالى واضحة ظاهرة ، فأظهرت الخفى ، ووضحت المبهم ، وبينت المعضل ، وأرخيت الستار ، ورفعت الغطاء ، وكشفت النقاب ، وأزحت الحجاب ، عن كل معضلات هذا الحكم ومشكلاته ، ودقائقه وكلياته ، بما لا يدع للمخالفين مجالاً إلا الخضوع أو الاذعان له والتسليم .

وزيادة في تسليط الأدلة على عقول هؤلاء القلة ، بينت الاجماع القاسم للظهور ، ووضحت ما أجمع عليه علماء هذا الفن بما لا يجوز لغيرهم أن يعترض عليهم كما هو معروف ومشهور في علم الاصول ، بل بينت إجماع الأمة الذي رواه الشيخ محمد مكي بما لم يدع للمحتضر شيئاً إلا التسليم لنزع الروح ، ثم جئت بأقوال العلماء والفقهاء والمحدثين في هذا المضمار حتى يأخذوا الروح ويذهبوا بها لتحل محلها روح جديدة تقول بوجوب تجويد القرآن الكريم .

وبعد : أقول لإخواننا الكرام إن قولنا لا يشعركم بأننا في حلبة مصارعة ، أو ميدان حرب ، وإنما يجمعنا التآخي والتحاب ، والألفة والحرص على كتاب الله ، فكل أدلى بدلوه وعرف صوابه من خطئه ، فما أقول إلا كما قال الشافعي رضي الله عنه وددت أن يغلبني الذي يحاجني أو كما قال رضي الله عنه ، ولكن هذه فتوحات ونزول رحمات ، وفتح أبواب ، ورزق لا يرد ودعاء يجاب .

فإن العلوم مراتب ، والفهوم درجات ، فمرفوع في الدرجات ونازل في الدركات ، وإنما هي توفيقات وأرزاق يوزعها رب الأرض والسموات ، فلا تكن أخي في ضيق ، ولا ينتابك حرج ولا تنكبر على القائل بالصواب ، ولا تكن حسوداً أو صاحب مكيدة والحسود لا يسود ، فما بيني وبين إخواني الكرام إلا كل الحب والوفاء ، والاخلاص والاخاء ، لكن حرصي على عدم تبديل كلام الله ، ولعلمى أن كلاً منا على ثغر من ثغور الإسلام فلا يؤتى الإسلام من قبله ، ولاحترافي عندما أسمع تحريفاً في القرآن الكريم ، خاصة وقد لمست هذا بنفسي وكدت أصعق مرات ومرات مما جعلني أكتب فيه كتاباً وأؤلف فيه مؤلفاً جعله الله خالصاً لوجهه الكريم وحجة لي يوم الدين وأخيراً أنادي بأعلى صوتي وما أملك من قوتي :

وآسلاماه لحفظ كتاب الله
وآسلاماه لعدم تحريف كلام الله
وآسلاماه للذب عن كتاب الله
وآسلاماه لإقامة حروفه ومعناه
وآسلاماه لتحكيمه في كل شئون الحياه
وآسلاماه لدخول جنة الله

وتم هذا الكتاب بفضل الكريم الوهاب في بيت الله الحرام
بمكة المكرمة في عصر يوم الخميس الموافق الثالث
والعشرين من شهر شعبان المبارك في السنة التاسعة
بعد الألف والأربعمائة من هجرة المصطفي صلوات
ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه
والتابعين لهم والمقتفين أثرهم
والسائرين على نهجهم
بإحسان الى يوم
الدين

المراجع

الكتاب	المؤلف
١ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن	أبو جعفر محمد بن حرير الطبري
٢ ـ تفسير القرآن العظيم	الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير
٣ ـ الجامع لأحكام القرآن	لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي
٤ ـ زاد المسير في علم التفسير	للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي
٦ ـ محاسن التأويل	جمال الدين القاسمي
٥ ـ فتح القدير	محمد بن علي الشوكاني
٦ ـ أضواء البيان	محمد الأمين الشنقيطى
٧ ـ فتح البيان في مقاصد القرآن	صديق حسن خان
٨ ـ تفسير المراغي	أحمد مصطفي المراغي
٩ ـ التفسير الواضح	محمد محمود حجازى
١٠ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور	جلال الدين السيوطى
١١ ـ الكشاف	أبي القالسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري
١٢ ـ تفسير الخازن	لعلاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادى الشهير بالخازن
١٣ ـ تيسير العلي القدير لاختصار بن كثير	نسيب بن محمد الرفاعي
١٤ ـ تفسير النسفي	عبدالله بن أحمد بن محمود المشهور بالنسفي
١٥ ـ تفسير البيضاوي	عبدالله بن عمر بن محمد بن علي المشهور بالبيضاوي
١٦ ـ تفسير مخلوف	حسين مخلوف
١٧ ـ المفردات في غريب القرآن	الاصفهاني
١٨ ـ كتاب أحكام القرآن	الحصاص
١٩ ـ كتاب أحكام القرآن	ابن العربي
٢٠ ـ التجير في علوم التفسير	للسيوطي
٢١ ـ مناهل العرفان	للزرقاني
٢٢ ـ البرهان في علوم القرآن	الزركشى
٢٣ ـ معرفة القراء	للذهبي

تابع المراجع

الكتاب	المؤلف
٢٤ ـ أعجاز القرآن	للسيوطي
٢٥ ـ أعجاز القرآن	للرافعي
٢٦ ـ الاتقان	للسيوطي
٢٧ ـ التجويد والأصوات	لابراهيم نجا
٢٨ ـ تاريخ القرآن	عبد الصبور شاهين
٢٩ ـ كتاب السبعة	لابن مجاهد
٣٠ ـ كتاب اللغات في القرآن الكريم	لابن حسنون
٣١ ـ الجواب المنتفي	
٣٢ ـ المواهب الفتحية	
٣٣ ـ دائرة معارف القرن العشرين	فريد وجدى
٣٤ ـ ليس في كلام العرب	بن خالويه
٣٥ ـ شرح بن عقيل	
٣٦ ـ الحجة	لابن خالويه
٣٧ ـ المزهر في علوم اللغة	السيوطي
٣٨ ـ لسان العرب	لابن منطوى
٣٩ ـ الخصائص	لابن حني
٤٠ ـ تأويل مشكل القرآن	لابن مقنه
٤١ ـ شرح بن نفيس على المعضل	
٤٢ ـ شرح الرضى على شاغبة من الحاجب	
٤٣ ـ سير أعلام النبلاء	للذهبي
٤٤ ـ تاج العروس	للزبيدي
٤٥ ـ الصحاح	للجوهري
٤٦ ـ فتح الباري	لابن حجر
٤٧ ـ صحيح مسلم	للإمام مسلم
٤٨ ـ القول المصير	محمد يوسف نصر
٤٩ ـ وفيات الاعيان	لابن جليكان

وغيرها مما تجده في الكتاب .

الفهرس

* الاهداء ٥

* المقدمة ٦

* الباعث على تأليف الكتاب ٧

* نشأة علم التجويد ومبادئه ٩

[تعريفه ـ موضوعه ـ ثمرته ـ فضله ـ واضعه ـ اسمه ـ استمداده ـ حكمه ـ مسائله] ١٢-١٥

* **حكم تجويد القرآن وفيه ثلاثة آراء :** **١٦-٢٦**

أ ـ الرأى الأول وهو القائل بالبدعية وأدلته :

[الدليل الأول ـ الدليل الثاني ـ الدليل الثالث ـ الدليل الرابع] .

الرد على هذا القول المنكر [الرأى الأول] :

[الرد على الدليل الأول ـ الرد على الدليل الثاني ـ الرد على الدليل الثالث ـ الرد على الدليل الرابع] .

ب ـ الرأى الثاني وهو القائل بالاستحباب وأدلته :

[الدليل الأول ـ الدليل الثاني ـ الدليل الثالث ـ الدليل الرابع ـ الدليل الخامس ـ الدليل السادس ـ الدليل السابع] .

الرد على القائلين بالاستحباب :

[الرد على الدليل الأول ـ الرد على الدليل الثاني ـ الرد على الدليل الثالث ـ الرد على الدليل الرابع ـ الرد على الدليل الخامس ـ الرد على الدليل السادس ـ الرد على الدليل السابع] .

ج ـ الرأى الثالث وهو القائل بالفرضية وأدلته : ٢٦

* الدليل الأول : القرآن عربي .

وفيه إثبات وجود الادغام والاقلاب والاخفاء والغن وغير ذلك في لغة العرب ٣٢

أولاً : وجود الادغام بغنه وبغير غنه ٣٢

ثانياً : وجود الاظهار المطلق ٣٣
ثالثاً : وجود الاظهار الحلقي ٣٣
رابعاً : وجود الاقلاب ٣٤
خامساً : وجود الاخفاء ٣٥
سادساً : ذم اللحن ٣٥
* الدليل الثاني : نزول القرآن بعدة قراءات ٣٨
* الدليل الثالث : كلام الله تعالى غير كلام البشر ٤٠
* الدليل الرابع : ترتيل الله للقرآن ٤٢
* الدليل الخامس : الأمر بالترتيل ٤٥

وفيه عدة مسائل :

المسألة الاولى : الامر يقتضي الوجوب إن لم تصرفه قرينه ٤٦
المسألة الثانية : الامر بالشىء نهي عن ضده ٤٦
المسألة الثالثة : ما لا يتم الواجب إلا وبه فهو واجب ٤٦
المسألة الرابعة : درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ٤٨
فائدة ٤٩
تتمة ٤٩
* الدليل السادس : قراءة القرآن على مكث ٥٠
* الدليل السابع : عدم تبديل القرآن ٥١
* الدليل الثامن : النهي عن العجلة بالقرآن ٥٢
* الدليل التاسع : حق التلاوة ٥٢
* الدليل العاشر : التحدي والمثلية ٥٣
* الدليل الحادي عشر : الخفة في القراءة والثقل فيها ٥٤
* الدليل الثاني عشر : حفظ الله تعالى للقرآن الكريم ٥٥
ثانياً : الادلة من السنة المطهرة [الادلة الحديثية] : ٥٥
* الدليل الأول : التواتر وفيه : ٥٨
أ ـ إثبات وجود القرآن بلفظه ومعناه ٥٩
ب ـ إثباته بالشكل والصفة والهيئة التي عليها القراءة ٥٩

* الدليل الثاني : الإمامة ٦٠
* الدليل الثالث : حديث للفقراء ٦١
* الدليل الرابع : مد القراءة ٦٢
* الدليل الخامس : التحذير من اللحن في القراءة ٦٦
* الدليل السادس : حادثة أبى ٦٦
* الدليل السابع : قراءة ابن أم عبد ٦٧
* الدليل الثامن : آية النساء ٦٨
* الدليل التاسع : مكانة الماهر وآجر المتعتع ٧٠
* الدليل العاشر : تحسين القرآن بالاصوات ٧١
ثالثاً : الاجماع ٧٢
رابعاً : أقوال أئمة القراء والدين في وجوب تجويد كلام رب العالمين ٧٤
خامساً : خطأ يجب أن يصحح ٧٩
سادساً : الخاتمة ٨٣
المراجع ٨٧
الفهرس ٨٩

من بعض إصدارات مكتبة الطرفين

التدخين هذا الوباء القاتل ـ أحمد بن عبدالعزيز الحصين ـ السعر «٥» ريال .
من فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ـ بتحقيق الشيخ عبدالله الجارالله ـ السعر «٥» ريال .
التحذير من مختصرات الصابوني ـ بكر بن عبدالله أبو زيد ـ السعر ريالان .
معلومات مهمة من الدين ـ محمد بن جميل زينو ـ السعر «٤» ريال .
قطوف من الشمائل المحمدية ـ محمد بن جميل زينو ـ السعر ريالان .
حكم الدخان والتدخين ـ محمد بن جميل زينو ـ السعر «١» ريال .
صلاة الجمعة ـ للشيخ عبدالله بن سفر العبدلي ـ السعر «١» ريال .
العصمة والنجاة من تحريف كتاب الله ـ سمير بن مطر .
لوحة الأنواء ـ «جدول لحساب الأنواء بالأشهر القمرية والشمسية» .
فهرس مجلة البحوث الإسلامية ـ حمد بن ابراهيم الحريقي .
الفهرس اليسير لكتب التفسير ـ حمد بن ابراهيم الحريقي .
تذكرة أهل الإيمان في ليالي رمضان ـ محمد بن سليمان الدهامي .
رسالة إلى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

.... ؟؟
.... ؟؟

كتب تحت الطبع

ذم البخل ـ مصطفى بن العدوي .
كلمات مضيئة ـ للشيخ عبدالله بن جارالله .
شرح الأربعين النووية ـ لابن دقيق العيد ـ طبعة مخرجة الأحاديث .
الزواج في الإسلام ـ أحمد عبدالعزيز الحصين .
لوحة العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة الصحيحة ـ للشيخ محمد بن جميل زينو .